الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي.....

رقم التسجيل.....

خطة

مشيخة الغزاة

dbΛÀnę ŧæş Àþɟā ŧæ ƙā

670هـ - 783هـ/ 1271م - 1381م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس

تاريخ المناقشة:2009/06/22

من إعداد الطالب: تحت إشراف:

هلال فؤاد الدكتور/ بحاز إبراهيم

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد العزيز فيلالي	أستاذ محاضر	جامعة منتوري قسنطينة	رئيساً
إبراهيم بحاز	أستاذ تعليم عالي	جامعة منتوري قسنطينة	مشرفاً ومقرراً
مسعود مزهودي	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	عضواً مناقشاً
محمد الأمين بلغيث	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية 2008- 2009

À ΛÆŐ ǩ ş À Ȯ ì

أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى الدكتور **بحاز إبراهيم بكير** الذي قبل بالإشراف على هذا العمل، وما أولاه من رعاية واهتمام، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة قسنطينة الذين لم يبخلوا علي بتوجيهاته السديدة.

كما لا يفوتني أن أنوه بالمساعدة التي حظيت بها من قبل زملائي طلبة الدراسات العليا بجامعة قسنطينة، وكذا عمال مختلف المكتبات، دون أن أنسى عائلتي التي وفرت لي المناخ المناسب للعمل ، وكل من ساعدني على إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد، ولو بكلمة تشجيع.

رموز العمل

[...] : نص محذوف

" " : اقتباس مباشر

تح : تحقيق

تر : ترجمـــة

د ت : دون تاريخ

د ط : دون طبعة

خطة مشيخة الغزاة وأثرها على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

(670 هـ -783هـ /1271م –1374م)

خطة الموضوع :

مقدمة: 6

تمهيد: **العقاب و سقوط سلطة الموحدين في الأندلس** 13

الفصل الأول: ظروف نشأة خطة مشيخة الغزاة 16

المبحث الأول: نشأة دولة بني الأحمر(السبب الأول) 17

أولاً: ثورات الأندلس ضد الموحدين 17

ثانياً: شخصية محمد بن يوسف بن الأحمر 20

ثالثاً: تأسيس مملكة بني الأحمر 22

رابعاً: عوامل ثبات وبقاء مملكة بني الأحمر 26

المبحث الثاني: بداية التدخل المريني في الأندلس(السبب الثاني) 28

أولاً: التدخل التطوعي 28

أ/ إستنجاد الأندلسيين بدول المغرب 28

ب/ ظروف نشأة دولة بني مرين 31

ج/ عملية عبور عامر بن إدريس بن عبد الحق المريني إلى الأندلس 36

ثانياً: التدخل الرسمي لبني مرين 38

أ/ حملات أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق 38

ب/نتائج وأسباب التدخل المريني في الأندلس 42

المبحث الثالث: ضغط الممالك النصرانية(السبب المباشر) 46

أولاً: تبلور الممالك النصرانية 46

ثانياً: تقدم حروب الاسترداد 47

الفصل الثاني: خطة مشيخة الغزاة: نشأتها، تنظيماتها، مآلها 52

المبحث الأول: نشأة مشيخة الغزاة و أهدافها 53

أولاً: تعريف ونشأة مشيخة الغزاة 53

ثانياً: دواعي إنشاء مشيخة الغزاة 56
المبحث الثاني: تنظيمات خطة مشيخة الغزاة 57
أولاً: القيادة 57
ثانياً: العناصر 61
ثالثاً: هيكلة الخطة وعتادها 63
المبحث الثالث: أعمال الخطة ونهايتها 72
أولاً: أعمال الخطة 72
ثانياً: نهاية الخطة 75
الفصل الثالث: أثر خطة مشيخة الغزاة على العلاقات بين بني مرين وبني الأحمر 79
المبحث الأول: أثر المشيخة في دعم العلاقات الثنائية 80
أولاً: مشيخة الغزاة كأداة لدعم العلاقات الودية 80
ثانياً: الاتفاق النصري المريني ضد مشيخة الغزاة 82
المبحث الثاني : أثر المشيخة في هدم العلاقات الثنائية 84
أولاً: بداية الخلاف النصري المريني والسيطرة على سبتة 84
ثانياً: استعمال شيوخ الغزاة للسيطرة على البلاط المريني 88
المبحث الثالث : تأثير مشيخة الغزاة على كلتا الدولتين 90
أولاً: في الجانب السياسي 90
ثانياً: في الجانب العسكري 95
ثالثاً: في الجانب الاجتماعي و الثقافي 97
الخاتمة 100
الملاحق 106
قائمة المصادر والمراجع 120
الفهارس العامة 129

مقدمة:

عرفت فترة مـــا بعد الموحدين في المغرب والأندلس، تغيرات كبيرة، حيث كانت بمثابة فترة انتقاليــة، شهدت جملــة مــن التقلبـــات السياسيــة والاقتصاديــة والاجتماعيــة وخاصــة العسكرية. وترجمت في الانقسامات السياسية والأخطــار الخــارجية التـــي شهدتها المنطقة، وواجهت الأندلس فـي هذه الفترة تحولات خطيـرة : فقـد عمت الثورات، وتقلصت أراضـــي المسلميـن أمام الزحف النصرانـي الذي استغل هـذه الفترة المضطربة، لتحقيـق انتصـــارات وإنجازات على الأرض،وهذا باختراق جبهة الوادي الكبير، وضم أهم وأكبر قواعد الأندلس.

إن هذا الواقع الجديد خلق كيانات جديدة ضعيفـة، انتهت ببقـــاء دولة أندلسية محصورة في أقصى جنوب الجزيرة يحكمها بيت مــن بيوتات الأندلس، وهم بنو الأحمر؛ فكانت دولتهم صغيرة المســاحة قليلـة الموارد تهددها الأخطار فــي كل وقت. فكان من المستحيل على هذه الدولة المواجهة بمفردها، فبات من الضروري الاستعانة بقوى أكبـر، وأقربها جغرافيــاً منها دولة بنـي مرين فــي المغرب الأقصى، وهـــي دولة فتيـة تبحث عن شرعيـــة ومجال أوسـع لإثبات قدرتها وسلطتها. ورغم غزوات ســلاطينها وعبورهـم إلـى الجهاد فـي الأندلس لكنهم لم يكونوا بقوة وموارد الدول الكبرى السابقة لها(1).

من هنا وجب الوصول إلى صيغة تضمن استمراريةً وحضوراً دائماً لقـوة مسانـــدة دون عناء تحمل تكاليف حملات كبيـرة، لمواجهــة تحرشـــات الممالك النصرانية المستمــرة والدائمــة، فتـم وضع نظام عسكري يتماشـــى وهـــذا المطلب، وهـــو الذي سيعرف **بمشيخة الغزاة**، وتم تبنيه كخطة مـــن الخطط الغرناطية، لها ظروفها الخاصـــة وتنظيمـاتها المحددة ومهامها المنوطة بها.

هذه الخطة المحدثة وغير المسبوقة، والتـي أثرت علـى الساحة الأندلسية بشكل واضح، رغم أن مكوناتها من قادة وعناصر لـم تكن أندلسيةً خالصةً،أعطـى لهـا قيمـة كبيرة وسبباً

---

(1) نقصد دولة المرابطين والموحدين، كانتا دولتين عظيمتين لهما من الإمكانيات البشرية والاقتصادية والعسكرية ما مكنها من العبور والاستقرار في الأندلس وتحقيق انتصارات كبيرة، وهـــو الأمر الذي لم يكن متوفراً لدولة بني مرين في المغرب الأقصى.

وجيهـاً لدراستها والتعرف عليها، خاصـــة وأن وجودها لم يمر دون أن يترك أثراً جلياً ، وهذا على مختلف جوانب التاريخ الأندلسـي، وأدت دوراً بارزاً فـي تنظيم شعيرة الجهـاد وتوجيهها، فـي فترة عرفت تنافساً شرساً بيـن القوى الإسلاميـة المتراجعـة والنصرانية المتنامية، حيث صارت مشيخة الغزاة رقماً له وزنه في معادلة هذا الصراع .

فدراسة هذه الخطة محاولة لإلقاء الضوء على إحدى زوايا التنافس الإسلامـي النصرانـي للسيطرة علـى أهـم المواقع في الغرب الإسلامي، والأندلس كانت ساحة الصراع الأولـى والأهم، وكان ذلك في الفترة الممتدة بين سنة 670هـ/ 1271م، وهـو تاريخ تولـي أول شيخ للغزاة من بني عبد الحق لهذا المنصب، وهو موسى بن رحو بن عبد الحق، وصولاً إلى سنة 783هـ /1381م وهـو آخر تـاريخ وصلنا فيـه أخبار عـن مشيخة الغزاة تحت قيادة الأمراء النصريين، وهذا بعد مغادرة أخر شيخ مريني لهذه الخطة وهـو عبد الرحمن بن أبي يفلوسن سنة 774هـ/1374م إلى المغرب.

من هنا تأتـي أهمية دراسة هـذه الخطة خصوصاً أنها لـم تدرس - فيمـا أعلم - دراسـة أكاديمية وافية ومستقلة، فيما عدا بعض الإشارات المتناثرة في عدد من المصادر والمراجع.

كل مـا سبق يطـرح العديد مـن التساؤلات والإشكاليات التـي يجب الإجـابـة عـنها وحلها، لعل أهمها حصر الظروف والعوامل التـي أدت إلـى التفكيـر، ومـن ثـم إنشاء هـذا التنظيم العسكري، خاصة أنه كانت تتقاسمه عدة أطراف وتحكمت في إنشائه عدة عوامل.

لكن يبقى أهم تساؤل يمكن طرحه، يدور حـول الخطة بحد ذاتها، كيف تم إنشاؤها ؟ وما هي تنظيماتها الأساسية ومكوناتها الرئيسية ؟ وحتى أدواتها التي استعملتها ؟ لأن هذه الخطة جديدة علـى التنظيمـات العسكرية والسياسية وحتـى الاجتماعية الأندلسية. وبالتالـي سوف نُحدِث لا محالة أثراً فـي الواقع الأندلسـي الجديد هو أيضاً ، وهذا يطرح إشكالاً آخر، حيث يجب معرفة طبيعـة التأثير السلبـي و الإيجابـي علـى الأطراف المتحكمة فيها، وهـما دولة بني الأحمر فـي الأندلس ودولة بني مرين في المغرب الأقصى، في الجانب السياسي، خاصة فيما يتعلق بنوعية العلاقات بين الدولتين ، وكذلك التأثير المتوقع في الجوانب العسكرية دون أن نهمل الجوانب الاجتماعيـة والاقتصادية والثقافية، كما يحق لنا التعرف علـى أهم أعمال

هذه الخطة ومصيرها في زمن عرف بتقلباته الكثيرة وصراعاته المستمرة.

للإجابة علـــى هذه التساؤلات، وحل جل الإشكاليـات، ارتأيت تقسيم العمل إلـــى جملـــة من الفصول التـي تحاول الإحاطة بمعظم جوانب الموضـــوع، فبعـــد مقدمة، مهَّدت لبحثـــي بمدخل تناولت فيـه انهيار دولـــة الموحدين بعـــد موقعـــة العقاب الشهيـرة، وكيف أثَّر ذلك علـــى الوضع فـــي الأندلس والمغرب على السواء، حيث تم فقدان الوحدة السياسية، والولوج إلـــى مرحلة مـــن الصراعات والانقسامات الداخليـــة، مهـدت لرسم خريطة جديدة للمنطقة، تولدت عنها كيانات سياسية جديدة.

بعد التمهيد ولجت للفصل الأول الذي يتناول الظروف التـي صاحبت نشأة مشيخة الغزاة التي كانت لا محالة إحدى مظاهر الأندلس بعد الموحدين، والفصل قسمتـه إلـى ثلاثة مباحث، تتطرق إلـــى أهم الظروف والأسباب التـــي ساهمت فـــي إنشاء هذه الخطة. الأول منها يبحث فـــي السبب الأول وهو نشأة دولـة بنـــي الأحمر، كونها النتيجة النهائية الثورات التـــي سادت الأندلس، وكيف أثرت شخصية مؤسسها علـــى مســـار تكوينها، ومـــن ثم عمليـــة التأسيس؛ وانتهـاءً بحصر أهم العوامل التـــي ساعدت علـــى بقائها واستمرارها، مقارنة مـــع مثيلاتها من الثورات السابقة واللاحقة لها.

أما المبحث الثانـــي، فيتطرق إلى التدخل الخارجي الذي كان له دور في إنشاء مشيخة الغزاة كسبب ثاني وهو تدخل دولة بنـــي مرين، والذي كان علـــى نوعين تطوعـــي ورسمي وكلـــه جـــاء بطلب من الأندلسيين أنفسهم وبكل فئاتهم. وتم التحدث عـن أول عبور تطوعـــي حقيقي بقيادة أميـر مرينـــي هـــو عامر بن إدريس، أما التدخل الرسمـــي فكان بعبور سلاطين وجيوش بنـــي مرين النظامية فـي حملات متعددة، وخلصت إلـــى أسباب هذا التدخل ونتائجه على الطرفين معاً.

أما المبحث الثالث، فيتناول طرفاً أخر في معادلة الصراع، والذي ساهم بدوره فـي نشأة مشيخة الغزاة باعتباره سبباً مباشراً، وهو الممالك النصرانية التي حاولتُ التعرف على كيفية تبلورها وتكونها، ثم كيف بادرت في حملاتها العسكرية التي عُرفت بحروب الاسترداد وأهم نتائجها.

في الفصل الثاني، حاولت التعرف على الخطة بحد ذاتها من حيث تعريفها، وكيفية ودواعي نشأتها بالنظر إلى خصوصيتها الزمنية والمكانية، هذا في المبحث الأول، أما المبحث الثاني فتناولت تنظيمات الخطة من قيادة وعناصر وعتاد وهيكلية داخلية، وهو ما يسمح لنا بمعرفة الجوانب العملية البحتة للخطة، وحول استعداداتها الفعلية للقيام بمهامها. هذه المهام تطرقت إليها في المبحث الثالث، الذي يتحدث عن الأعمال الفعلية الجهادية لخطة مشيخة الغزاة، وكيف أثّر ذلك على الواقع الميداني والجغرافي للأندلس، وأنهيت المبحث بالتعرف على مآل هذا النظام العسكري والأسباب التي أدت إلى نهايته.

الفصل الثالث تم تخصيصه لأثر هذه الخطة على العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين، فالمبحث الأول منه يتطرق إلى أثر المشيخة في دعم العلاقات الثنائية بين الدولتين باعتبارها أداة لهذا الدعم، وفي نفس الوقت كانت محل اتفاق بين الدولتين ضدها، ولهدف القضاء عليها وعلى نفوذها، المبحث الثاني يتناول أثر الخطة، لكن هذه المرة في توتير وهدم العلاقة النصرية المرينية التي كانت أهم مظاهره سيطرة بني الأحمر على مدينة سبتة، ودور قوات هذه الخطة وقيادتها في هذا العمل، كذلك كيف تم استعمال المشيخة قيادة وعناصر في محاولة السيطرة على البلاط المريني، وما ولّد ذلك من انهيار كبير في العلاقة بين الدولتين.

أما المبحث الثالث، فهو يدرس تأثير مشيخة الجند المغربي، على كلتا الدولتين في المجالات السياسية والعسكرية دون إهمال الجوانب الاجتماعية والثقافية، وهو الأثر الذي كان ظاهراً باعتبار أن المشيخة استمرت لقرن من الزمن.

وختمت الموضوع بخاتمة، هي حوصلة لكل عناصر البحث، ومحاولة للخروج بنتائج تمنحنا صورة مجملة لكل ما فصّلته في متن البحث، وألحقت البحث بضمائم توضح لنا بعض ما مررنا به أثناء البحث دون تفصيله، وهي إضافات توسع لنا بعض المعارف
عن الخطة.

للوصول إلى الغاية في هذا البحث، استخدمت جملة من المناهج فحاولت من خلال السرد التاريخي، تتبع المراحل والظروف السائدة والمساعدة لظهور هكذا خطة، وهذا

برصد أهم المحطات والأحداث التي كان لها يد في تكوين هذا التنظيم، كما استخدمت المنهج الاستقصائي وأردت من خلاله البحث في مكونات الخطة من قيادة وعناصر وتجهيزات مع الاستشهاد ببعض الوثائق والنصوص المعاصرة لها، بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي استخدمته لمناقشة القضايا المطروحة، خاصة تلك المتعلقة بتأثير الخطة على العلاقات الدولية السائدة آنذاك.

وللإحاطة بجوانب الموضوع، وأهم قضاياه المطروحة فيه، اعتمدت على جملة

من المصادر والمراجع مختلفة التخصصات، لعل أهمها مؤلفات الوزير لسان الدين بن الخطيب(ت:774 هـ / 1373 م)،كالإحاطة في أخبار غرناطة واللمحة البدرية وغيرهما، وتعود أهمية مؤلفات ابن الخطيب الوزير والشخصية المرموقة في بلاط بني الأحمر، إلى كونه شاهداً على أهم أحداث الفترة المدروسة، بل ومشاركاً في أغلبها، واحتوت كتبه على العديد من المعلومات الهامة والدقيقة، والتي لا نجدها في المصادر الأخرى المعاصرة أيضاً لأحداث هذه الفترة.كذلك استعنت بالسِّفر الضخم لابن خلدون(ت: (808 هـ/ 1406 م) وأقصد كتابه العبر الذي كان معاصراً للأحداث ولكن يختلف عن ابن الخطيب بكونه شاهداً محايداً بعيداً نوعاً ما عن مراكز القرار،ولعل أهميته الأخرى هي أنه الوحيد الذي أفرد لشيوخ الغزاة فصلاً كاملاً طول فترة نشاط المشيخة، أما بالنسبة لأحداث المغرب والدولة المرينية فقد اعتمدت على مؤلفات ابن أبي زرع(ت:741 هـ/ 1323م)، الأنيس المطرب والذخيرة السنية، مع إضافة أحد المعاصرين للفترة وهو ابن مرزوق(ت:781 هـ/ 1379 م) في مسنده المخصص للسلطان أبي الحسن المريني، واستعنت بعدد من المصادر الجغرافية كالروض المعطار للحميري(ت: 727 هـ/ 1327م) ووصف إفريقيا للحسن الوزان(ت:بعد 957هـ/ 1550م).

وما نلاحظه على معظم المصادر، هو اهتمامها بشيوخ الغزاة كأشخاص دون إيلاء أهمية للمشيخة كتنظيم عسكري وخطة لها خصوصياتها ووجودها في الحياة الأندلسية على عهد بني الأحمر.

كما اعتمدت على بعض الوثائق التي تضمنتها بعض المصادر، منها الرسائل

التــي حـررها ابن خطيب أيام وزارته للسلطان النصري أبي الحجاج يوسف، والتــي جمعها فـــي مؤلفه كناسة الدكان بعـــد انتقال السكان، بالإضافـــة إلـــى بعـــض الظهائر والمـــراسيم التـي أصدرها البلاط النصري وهي من تحرير ابن الخطيب، وقد استقيتها من صبح الأعشى فـــي صناعة الإنشا للقلقشندي(ت:821 هـ/1418 م) التي أوردها كأمثلة علـــى نظم المغاربـة والأندلسيين لرســـائلهم الرسميـــة ومراسيمهم السلطانية، وكـــان ابـــن الخطيب أحسن مثـــال علـــى ذلك، ومـــن بين المصادر المهمة أيضاً والتـــي استعنت بها فـــي رصـــد بدايات دولـة بني الأحمر، البيان المغرب فـــي أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي(كـــان حياً عام 712هـ/1312 م)، وهذا في جزئه الخاص بتاريخ الموحدين وبداية الحكم المريني، دون أن أنسى اعتمادي على موسوعة أحمد بن محمد المقري(ت:1041 هـ/ 1632 م) نفح الطيب الذي اهتم بشخصية ابن الخطيب، هذه الشخصية المؤثرة في الحياة الغرناطية عموماً.

أما بالنسبة للمراجـع العربية الحديثة، فقـد استخدمت جملة منها، من أهمها كتاب أحمد الطوخي(الدكتور) مظاهر الحضارة في الأندلس فـــي عهد بنـــي الأحمر، وقد جمع في مؤلفه مختلف مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصاديـة والثقافية في غرناطة بنـي الأحمر، كـذلك اعتمدت على كتاب المغرب الإسلامي فـــي عهـد بنـــي مرين للحريري محمد عيســى (الدكتور) والذي تطرق فيه للعلاقات السياسيـــة بين بني الأحمر وبني مرين بصـورة وافيـة، واعتمدت أيضاً علـــى الموسوعة الكبيرة للتـاريخ الأندلســـي لمؤلفها عبد الله عنان(الدكتور)، ولعل من أهـم المراجع التـــي اعتمدت عليها الإستقصا لأخبـــار المغرب الأقصـــى للسلاوي الناصري، الذي أورد العديد من المعلومات القيمة من أخبار بني مرين وبني الأحمر على حد سواء كمـــا قمت باستغلال المعلومات التـــي أوردها شكري يوسف فرحات(الدكتور)، ضمن كتابـــه غرناطة فـــي ظل بنـــي الأحمر،والـــذي أجمل مختلف مظـــاهر الحضـــارة الأندلسية في العاصمة النصرية غرناطة.

واعتمدت علـــى العديد مـــن المقالات القيمـــة ضمـــن المجلات المتخصصـــة أو الخاصة بالندوات التاريخية منها دراسة عبد اللطيف عبد الحليم حـول ابن عاصم الغرناطـــي واحتوت الدراسة معلومات حديثة وقيمـــة حـــول الخطة موضوع الدراسة والخطط الغرناطية بصورة

عامة .

أما بالنسبة للمراجع الأجنبية فقد اعتمدت على مؤلفات TERRASSE التي تناولت تاريخ الإسلام في إسبانيا وتاريخ المغرب الأقصى، كذلك استعنت بالدراسة المهمة لـ: A.DHINA حول الدول الرئيسية المكونة للغرب الإسلامي بعد الموحدين، دون أن أنسى كتاب DUFOURQC الذي تناول تاريخ العلاقات بين مملكة أراغون ومختلف الممالك المسيحية والإسلامية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، بالإضافة إلى العديد من المراجع الثانوية الأخرى التي أفادتني في مختلف مباحث هذه الدراسة.

ولعل أكثر الصعوبات التي واجهتني في عملي هذا هي قلة النصوص المباشرة في الموضوع، وإذا ما توفرت اقتصرت مادتها الخبرية على الجانب الشخصي لقادة مشيخة الغزاة وعلاقتهم بمختلف مراكز الحكم والسلطة، فتهمل بذلك الجانب التنظيمي والهيكلي لخطة مشيخة الغزاة.

يبقى أن أقول إن أهمية الموضوع تجعله يستحق جهداً أكثر مما قمت به، غير أني أرجو أن أكون قد وفقت في محاولتي لإلقاء الضوء على زاوية من زوايا التاريخ الأندلسي، ضمن فترة تعد من أحرج فترات هذا الجزء من الغرب الإسلامي.

تمهيد: العقاب وسقوط سلطة الموحدين في الأندلس

بانهزام الموحدين في معركة العقاب(1) أمام جيوش الممالك النصرانية الإسبانية سنة 609هـ/ 1211 م (2)، دخلت دولتهم في مرحلة تاريخية جديدة، هي مرحلة الانكماش و الانحلال ، فافترقت كلمتهم وذهبت ريحهم وتنازع الأمراء من بني عبد المؤمن وتنافسوا للظفر بعرش الخلافة (3) ،" وكانت سبب ضعف المغرب والأندلس ، أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره وأما الأندلس فبطلب العدو عليها "(4)، وقد فقدت دولة الموحدين في هذه الموقعة ألوفاً من خيرة محاربي الإسلام من عرب وبربر وأندلسيين ،هذه الهزيمة كانت بمثابة النهاية الحقيقية لقوة الإسلام في الأندلس (5) .

لكن يجب التنبيه إلى أن هزيمة العقاب لم تكن ضربة قاضية للدولة وتصرف الناصر الموحدي الذي عاد إلى المغرب مباشرة ولم يحاول مع تلك القوة الباقية أن يعيد الكرة ويصمد في وجه النصارى هو ما جعلها كذلك وبوفاته ولجت الدولة الموحدية في طور الانهيار وعلى ثلاث جبهات : عسكرية، سياسية ومعنوية (6) .

وانعكست هذه الحالة خاصة على الأندلس ،التي راحت جيوش الممالك النصرانية

---

(1)العقاب : بكسر العين جمع عقبة وهو الجبل الطويل يعرض للطريق ، وهو طويل صعب شديد، والمقصود موقع بين جيان وقلعة رباح وهو ليس علماً لبلدة أو مدينة وهو اسم لهذه المعركة نظراً لكونها وقعت في عقاب وأوعار بجبال الشارات (ابن منظور : لسان العرب المحيط ، إعداد و تصنيف :يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت، 2/ 833 ، مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1 ،1979، 161

(2) علي بن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972، 240

(3)عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، 2844/2

(4) محمد بن محمد المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1988 ،446/1

(5) مؤنس حسين: تاريخ المغرب و حضارته، العصر الحديث، بيروت، ط1، 1992، 132/2

(6) Terrasse Henri : Islam d'Espagne, Librairie Plon, Paris, 1958, p 172

تنتشـــر فـــي ربوعـها ، يقول ابن أبـــي زرع : " ولمـا فرغ ألفونسو الثـامن [...] من وقعة العقاب سار إلـــى مدينة أبدة (1) فدخلها علـــى المسلمين بـــالسيف عنوة [...] ومـن بعدها لم يزل يملك بلاد المسلمين بلداً بعد بلد حتـــى استولـــى علـــى جميع قواعدها ولـــم يبق بـأيدي المسلمين إلا النزر اليسير" (2) ،وهـذا مع شعور عـــام لـــدى الأندلسيين بـــأن الأمـــر ضاع ولا حيلة في تفاديه،وأن لا خير يرجى من القادة والرؤساء أمام عدو لا يريد سوى استئصالهم من الجزيرة كلها فلا غرابة أن يحرز النصارى انتصاراتهم تلك فـــي مدة وجيزة ودون مشقة كبيرة(3).

أمام هـذا الوضـــع الخطيـــر وغـــير المسبوق ، وحـالة الضعف والـوهـن ونـقص الـموارد التي أصابت جسم الدولة الموحدية، والذي لـم يكن يخفى علـى أحد، وأمام استنكاف الخلفاء الموحديـن عـــن القيام بواجبهم الأول فـــي الأنـــــدلس وهـــو حمـــايتها من الخطر النصراني (4)، بل تنافسوا فيما بينهم واستعانوا فـــي ذلـك بأعدائهم النصارى، وهـــو ما أدى في غالب الأحيان إلى فقد العديد من الحصون والثغور (5)، نتيجة لكل هـذه الظروف خشـــي أهـــل الأندلس ضياع بلادهم، فقـــاموا بالثـورة علـــى الموحدين وعملوا علـــى إخراجهم من كل الجزيرة (6).

---

(1) أُبدة :Ubeda مدينة صغيرة علـــى مقربة مـــن الوادي الكبير، تحـــوي العديد مـن حقول القمح والشعير (الشريف الإدريسي : القـــارة الإفريقية وجزيـــرة الأندلس مقتبس مـــن كتـــاب نزهـــة المشتاق فـــي اختراق الآفاق ، تح: إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983، 296

(2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، 240

(3) محمد بن عبد الله ابن الأبار: الحلة السيراء ،تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ، ط2 ، 1985، 22/1

(4) عنان محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1990، 383/3

(5) السلاوي الناصري:الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا، المطبعة المصرية، القاهرة،1312، 18/2

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، 2844/2

وأول من تولى هـذه المهمة، هـو محمد بن يـوسف بن هود الجذامي (1) من أعقاب بني هود ملوك الطوائف بسرقسطة (2) الذي اجتهد في تصفية الحكم الموحدي في الأندلس حيث دخلت في طاعته أهم القواعد الأندلسية (3) .

وكانت محاولات محمد بن يوسف بن هود وغـيره مـن الزعامات الأندلسية الثـائـرة، تهدف لإنقاذ المـوقف الخطير الـذي وصلت إلـيه الأنـدلس بكـل ما تسمح به الظروف والإمكانيات (4).

وهكـذا شيئا فشيئا، فقد المـوحدون كـل أملاكهم الأنـدلسية، ودانت لابن هـود أكثر قواعـد الأندلس وأطاعـه رؤساؤهـا وخلعوا طاعـة الموحدين و" قتلوهـم و أجلوهـم واستأصلوهـم "(5) ، وبـحلول مـنتصف عـام 628 هـ/1231 م سيـطـر ابـن هـود على المنـاطق الجنوبية من الجزيرة وبهذا " لم يبق للموحدين بالأندلس أمر ولا نهـي " (6)

---

(1) محمد بن يوسف بـن هود مـن نسـل المستعين بن هود، كـان من أصناف الجند وكان نشـاطه الأول ضمـن بعض الجماعات الثورية و يعرف في المصادر الإسبانية بثافادولا وبـدأ أمره بالاستقلال بمدينـة مرسية ، ثـم أرسل إلـى الخليفة فـي بغداد ببيعته ووصلـه التقليد مـن الخليفة المستنصر الـعباسـي وشـاع خبره، وملك عـدة قواعد، وجيش الـجيـوش، ولكنه كـان غيـر موفق وعرف عنـه العجلة والتهور، توفـي سنة 635 هـ /1238 م (لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فـي أخبار غرناطة، تح : يوسف علي الطويل ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 2003 2/74- 76)

(2) الطوخي محمد أحمد : مظـاهر الحضارة فـي الأندلس فـي عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1977، 27

(3) السلاوي : المرجع السابق،198/1

(4) عنان: المرجع السابق، 389/3

(5) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب فـي أخبـار الأندلس والمغـرب – قسم الموحدين – تح : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون دار الغرب الإسلامي ، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، ط1 ، 1985، 288

(6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، 274

الفصل الأول:

ظروف نشأة خطة مشيخة الغزاة

المبحث الأول: نشأة دولة بني الأحمر(السبب الأول)

أولاً ثورات الأندلس ضد الموحدين

ثانياً شخصية محمد بن يوسف بن الأحمر

ثالثاً تأسيس مملكة بني الأحمر

رابعاً عوامل ثبات وبقاء مملكة بني الأحمر

المبحث الثاني: بداية التدخل المريني في الأندلس(السبب الثاني)

أولاً التدخل التطوعي

أ/ استنجاد الأندلسيين بدول المغرب

ب/ ظروف نشأة دولة بني مرين

ج/ عملية عبور عامر بن إدريس بن عبد الحق إلى الأندلس

ثانياً التدخل الرسمي لبني مرين

أ/ حملات أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق

ب/نتائج وأسباب التدخل المريني في ا لأندلس

المبحث الثالث: ضغط الممالك النصرانية(السبب المباشر)

أولاً تبلور الممالك النصرانية

ثانياً تقدم حروب الاسترداد

الفصل الأول: ظروف نشأة خطة مشيخة الغزاة

المبحث الأول: نشأة دولة بني الأحمر

أولاً ثورات الأندلس ضد الموحدين:

كان لانتشار الخلافة الموحدية بين أبناء بيت عبد المؤمن بخروج بعضهم علـــى بعض ،أثره السلبي على الوجود الموحدي بالأندلس، فهذا العادل يثور ضد أبـي محمد عبد الواحد، وكذلك قيام المأمون بالأندلس علـــى أخيه العادل، كـان لكل هـذا وغيره صـدى واسع فـي الأندلس، ضـف إلـــى ذلك التصـــدع فـــي أركان البيت الموحدي خاصة مـع ثورة البياسي (1) وآثـارها المؤلمة ، فاهتزت الأندلس لكل هذه الأحداث ونهضت مـن سباتهـا العميق الذي فرضه الحكم الموحدي لثمانين عاماً ، فأخذت تفور بسلسلة جديدة مـــن الثورات، لكنها كـــانت حركـــات متنـــاثرة، متنـافسة، متخـــاصمة، تتحكم فيهـــا الأطمـــاع الشخصيـــة ، لكـن رغم هـذا كـان يجمعها الهدف المشترك وهـو التحـرر مـن سلطة الموحدين، وحمايـة الأندلس مـن عدوان النصارى (2) .

وكان على رأس هـــذه الثورات زعمـــاء أسر مـــعروفة استقلـوا بمدنهم فتشكلت ممالك جديدة فيما عرف بعصر ملوك الطوائف الثالث (3).

---

(1) البياسي هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن والـــي جيان الموحدي ، استقل بمدينته بعد أن بويـع بالأندلس العادل خليفة للموحدين وتمرد السيد أبو زيـد والـــي بلنسية ودانية وشاطبة، فدعـــا البياسي لنفسه وتلقب بالظافر وخرج إلى بياسة واعتصم بهـــا وحاول العـــادل عدة مرات القضاء عليه لكنه فشل ، فاستفحل أمـر البياسي وملـك قرطبة وتحالف مـــع ملك قشتالة نظير تسليمه الجزيـــة وعـدة حصون ، واستقر البياسي بقرطبـــة وأراد أن يقضـــي علـــى العادل وأخيه أبـــو العلاء ، فزحف علـــى إشبيلية ، فخرج له أبو العلاء ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة هزم فيها البياسي ، وعاد خائبا إلى قرطبة واسترجع المـــوحدون إثر ذلك عدة حصون شرقية ،وبعودة البياسي إلـــى قرطبة رأى أهلها أنـــه قد أفرط فـــي الاستعانـــة بالنصارى وخافوا أن يخونهم ويسلم مدينتهم ، فثاروا عليه وحـــاصروه بقصبتها واقتحموها وقتلـــوه سنة 623 هـ -1225 م ، وانتهت ثورته التـــي لبثت ثلاث سنوات تبث الدمـــار والخراب فـي وسط الأندلس وتمهد للنصـــارى اقتطاع حصـــون وقواعد تسببت فـــي إضعاف قرطبة والتمهيد لسقوطها . (ابن أبي زرع : المصدر السابق، 246 ، محمد بن عبد الله الحميري: الروض المعطار فـــي خبر الأقطار ، تح: إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، ط2، 1984، 121، عنان: المرجع السابق، 3/352- 361)

(2) عنان:المرجع السابق، 3/389

(3) TERRASSE, Op Cit, p 174

ففـي شرق الأندلس وببلنسية بالـضبط،انتقـض أبـو جميل زيـــان بن أبـي الحملات مدافع بن الحجاج بن سعد بن مردنيش ، ودعا لنفسه ، وهـو من بيت بنـي مردنيش " أهل عصابة وأولي بأس شديد "(1) ، وقد حاول أبو زيان الاستئثار ببلنسية بعد أن غادرها واليها الموحدي السيد أبو زيد فقدم أبو جميل من حصن ُأندة و دخل بلنسية في صفر 626هـ / جانفي 1229م وعقد البيعة لنـفسه ودعـا للمستنصر العباسي ، فـأطاعته دانية ، وعـدة حصون مـن شرق الأندلس ، لكن هذا لـم يعمر طويلاً ، إذ خـرجت هـذه الحصون مـن سلطته وبايعت لـسيد الأندلس محمد بن يوسف بـن هود (2) ، ورغم محاولاته القيام بأعمال جهادية وهـذا بالإغارة علـى أراضي الممالك النصـرانية إلا أنه تعـرض لضغط كبـير من أراغون وملكها الشاب خايمي الأول (3) .

كـان محمد بـن يوسف بن هـود الجذامي على رأس الثـوار حيث انطلق مـن منطقة الصخيرات مـن أعمال مرسية ، فزحف علـى مرسية نفسها فدخلها واعتقل واليها الموحدي وخطب للخليفة العبـاسي ، وحـاول الموحـدون التصدي لـه ، حيث زحف إليه والي شاطبة السيد أبو زيد محمد بـن أبي حفص لكنه هـزم ، فـاستنجد بالخليفة الموحدي المأمون وكـان يـومئذ بإشبيلية ، فخرج إلـيه بجيش كبير واستطاع أن يهزمه ويتبعه إلـى مرسية لكنه عجز عن القضاء عليه خاصة مع تفاقم الأمور بالمغرب الأقصى (4) .

أمام هذا العجز الموحدي استفحل أمرا بن هود حيث بويع له سنة 625هـ/ 1228 م، بمرسية وتسمـى بأمير المسلمين وتلقب بالمتوكل علـى الـله (5) ، وأخـذت الـمدن الأندلسية تبايعه الواحدة تـلو الأخرى حيث بايع أهل شاطبة وأهـل جزيرة شقر وبـايعت قرطبة ، بل وإشبيلية نفسها بعد رحيل المأمون عنها (6) ،كمـا قام بدعوته ابن الرميمي بالمرية وأطـاعته غرناطة ومالقة (7).

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 1557/1

(2) عنان: المرجع السابق، 3/ 394

(3) ابن الأبار: المصدر السابق ، 305/2

(4)ابن خلدون: المصدر السابق، 1557/1

(5) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، 278

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، 1557/1-1558

(7) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، 288

وفـــي سنة 628هـ /1231 م امـتد سلطـانه إلـــى جبل الفتح والجزيرة الخضراء، بل ملـك مدينة سبتـــة مدة ثلاثة أشهر، ونتيجة لذلك فقد الموحدون كل أملاكـهم بالأندلس (1)، وحاول ابن هود أن يكســب الشرعية لملكـه بطلبهـــا مـــن الخليفة العباســي ببغداد حـــيث وصـله الـتقليد سنة 631 هـ/1234 م (2) وهـــو بغرناطة وجـــاءه كتـــاب الخليفة يـأمره بإقامة الدين و الاجتهاد فـــي أمور الجهاد و ُلقِب بمجاهد الدين سيف أمير المؤمنين (3).

حاول ابن هـــود أن يثـبت جدارته بريـاسة الأندلس بجهـــاده للنصـــارى وغـــزوهم وهو ما فعله سنة 627 هـ /1230 م حيث خـرج فـــي جموع كثيفة لغزو النصارى ومحاولة نجدة مـــدينة مارده المحـاصرة، لكنـــــه هزم نـــتيجة لـتهوره وعجلتـــه، وقيـل إنـــه اندفع بـنفسه علـــى جيش العدو حتـــى خرج من ساقته فافتقده الناس فولوا منهزمين ونتـج عن ذلك سقوط ماردة بعد ذلك وكانت أول غزواته وأضخمها وانهزم فيها (4) .

إذن هذا البناء الكبير الذي رفعه ابن هـود بسرعة وفـي سنوات قليلة ، لـــم يكن متيناً ، فقد بدأ التصدع يتخلله مبكراً وبسرعة خـاصة مـــع ضربـــات النصارى المتتاليـة (5) ،فبعد هزيمته أمام مارده هـزم مـــرة أخرى في مواجـــهة جيوش ألفونسو التاسع قرب بطليوس، ثم تضاف إليه هزيمـة أخـــرى في سهول إشبيلية سنة 628 هـ / 1231م أمام جيوش فرناندو الثالث ملك قشتالة (6) كانت نتيجته عقد هدنة لقاء ضريبة كبيرة (7) .

كانت نتيجة المنافسة الكبيرة التي وجدها ابن هـــود مـن الثوار الآخرين، مؤلمـــة حيث

---

(1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، 274

(2) ابن خلدون: المصدر السـابق، 1558/1 ، ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، 294 (يذكر ابن خلدون أن التقليـد مصحوباً بالخلع والرايـة والعهد جـاء بـه وفد كان على رأسه الحسن بن علي الكردي الملقب بالكمال ، ويجعل ابن عذارى التقليد وصل سنة 629 هـ - 1232 م .)

(3) ابن عذارى: المصدر السابق، 294

(4) المصدر نفسه، 294، ابن الخطيب: المصدر السابق، 75/2

(5) فرحات يوسف شكري : غرناطة فـي ظل بني الأحمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشـر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982 ، 22

(6) المرجع نفسه،22

(7) ابن عذارى: المصدر السابق، 331

غدر به عامله على المرية محمد بن عبد الله الرميمي ودبر مقتله ، وقيل إنه قتل خنقاً (1) وكان ذلك في جمادى الأولى سنة 635 هـ / 1238 م (2) .

لكن ابن هود ورغم ما وصل إليه من السيطرة على أجزاء كبيرة من الأندلس لم يكن منفردا برياسة هذه الجزيرة بل وجد منافسةً شديدة ًمن العديد من الزعماء والرؤساء الأندلسيين ، ففي الشرق وكما سبق ذكره نافسه أبو جميل زيان بن مردنيش ،لكن هذه المنافسة لم تكن مما يضايقه أو يهدد رياسته ، بل كان ابن هود يخشى من زعيم آخر بدأ يسطع نجمه في وسط وجنوب الأندلس التي أصبحت قواعده تطيعه الواحدة تلو الأخرى كان هذا الزعيم الجديد والقوي هو محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر(3) .

ثانياً شخصية محمد بن يوسف بن الأحمر :

هو محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري الملقب بالغالب بالله وكنيته أبو عبد الله (4) ، وهو من بيت أندلسي عريق وهم بنو نصر و يذكر العديد من النسابة أنهم من ذرية سعد بن عبادة سيد الخزرج بدليل أن رجلين من ذرية سعد بن عبادة دخلا الأندلس و استقر أحدهما بإقليم تاكرونا (5)، وآخر بقرية سقرسطونة تعرف بقرية الخزرج (6) .

---

(1) قيل إن سبب مقتله هو اختلافه مع عامله ابن الرميمي حول جارية روميه كانت لابن هود حاول ابن الرميمي الاستئثار بها لنفسه .

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، 341، ابن خلدون: المصدر السابق، 1558/1، ويقول ابن الخطيب إنه كان في جمادى الآخرة (ابن الخطيب: المصدر السابق، 2/ 76)

(3) عنان: المرجع السابق، 3/ 414

(4) ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح : محمد زينهم ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة، ط1 ،2004 ، 44، الإحاطة ، المصدر السابق،51/2

(5)تاكرونا: إقليم جنوب الأندلس وبه جبال كثيرة وعدة حصون من أهم مدنه رندة (مجهول: ذكر بلاد الأندلس ، تح: لويس مولينا ، الهيئة العليا للبحوث العلمية لمعهد ميغيل أسين ، مدريد، 1983 ، 68/1)

(6) ابن الخطيب : الإحاطة ، 51/2 ، يقول ابن حزم:" سعد بن عبادة بن دليم و ابناه قيس ولي مصر وسعيد بن سعد ولي اليمن ولسعيد هذا عقب بالأندلس بقرية يقال لها قربلان من عمل سرقسطة، وبشذونة بنو عرمرم بن جميل بن قتادة بن قيس بن سعد بن عبادة . (علي بن أحمد بن حزم : جمهرة أنساب العرب تح: لجنة من العلماء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 365-366)

وقد نشأ محمد بن يوسف بأحواز أرجونة (1) من إقليم كنبانية قرب قرطبة وهي منطقة مزدهرة بالبساتين وأعمال الزراعة ،وهي بلده وبلد جده، وقد مارست العائلة العمل الفلاحي السائد في المنطقة، و تربى ابن الأحمر على أخلاق النجدة والشجاعة وحب الرياسة ونيل الإمارة وهو ما شجعه عليه أهله و أشياعه (2) ، وقد اتصف بأوصاف يحبذها أهل الأندلس في ولاة أمورهم " فالضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في سلطانهم أنهم إذا وجدوا فارساً يبرع الفرسان أو جواداً يبرع الأجواد تهافتوا في نصرته ونصبوه ملكاً من غير تدبير عاقبة " (3)، وهو ما كان يتصف به ابن الأحمر فقد كان " آية في السذاجة والسلامة، جندياً ثغرياً شهماً [...] مباشراً للحروب بنفسه[...] ويلبس الخشن ويؤثر البداوة ويستشعر الجد في أموره " (4) ،ويقر ابن سعيد بهذا حيث ينقل عنه المقري قوله:"ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه، لما كانت الفتنة الأخيرة بالأندلس تمخضت من رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف بابن الأحمر، وكان يكثر مغاورة العدو من حصنه، وظهرت مخايل وشواهد على الشجاعة إلى أن سار اسمه في الأندلس وآل ذلك إلى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ،ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك إشبيلية [...]وملك جَّيان [...]وملك غرناطة ومالقة وسموه أمير المسلمين فهو الآن المشار إليه بالأندلس والمعتمد عليه" (5).

إذن فشخصية ابن الأحمر المجبولة على الحياة المتدينة والبسيطة، والتي أملتها الحياة العسكرية (6)، وفهم الشعر وكثرة مطالعة التاريخ وأخباره (7) هي ما أهلته أن يتبوأ

---

(1)بلدة من بلاد إقليم جيان وتقع على مقربة من الوادي الكبير، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1 ،1974، 93/2

(2) ابن الخطيب : الإحاطة، 51/2 ، اللمحة البدرية ، المصدر السابق ، 44

(3)المقري: المصدر السابق، 215/1

(4) ابن الخطيب : الإحاطة ، 51/2

(5) المقري: المصدر السابق، 215/1

(6) ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 ، 2003، 15

(7)علي بن موسى بن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ،تح: خليل منصور، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 87/2

كرســـي الرياســـة والقيادة فـــي فترة مضطربة فـــي الدفاع عن الإسلام ومجد المسلمين في الأندلس، فشخصيته الجريئة ونظرته البعيدة كانـــت عـوامل أساسية في نجاح مهمته.
ومقارعته العنيدة لخصومه لـــم تكن لطبيعة خبيثة أو ضعيفة، بل كـــان ابـن الأحمر مرغما على أعماله تلك، فقـد أظهر قـــدرة نادرة فـي مواجهة أعدائه سواء بالتصدي أو بالخضوع، لكنه وطد سلطانه وضمن بقاء مملكته(1).

ثالثاً تأسيس مملكة بني الأحمر:

بعد أن تكاثر الثوار في الأندلس ، وراح كل زعيم يبحث عن مدينة يستقل بها ، لـــم يـكن محمد بن الأحمر بشخصيته المتميزة والطموحة بالذي يـدع الفرصة تفلت منه ،بل نجده يـستقل بمدينته ومدينـــة أسرته أرجونة ، ثم ينتقل منها إلى جيَّان (2) ، وأمام ضغط الـنصارى على هذه المناطق نجده يسعى للانتقال إلـى وسط الأندلس، فملك قرطبة ،لكـن أهلها أخرجوه منها خاصة بعد معاملته السيئة لهم (3) ثم توجهت أنظاره إلـى إشبيلية ،خاصة وقد ثار واليها من قبل ابن هود أبـــي مروان الباجي، فـاستغل ابـن الأحمر الفرصة وعقد مـــعه إتفاقاً يدخل هو بموجبه إشبيلية مقابل تزويجه لابنته ، وهو ما تم فعلاً ، وبـــهذا دخل ابـن الأحمر إشبيلية سنة 632 هـ / 1235 م ، لكنه وبعد وقـت قصير غـدر بـابن الباجي وقـتله ، وقـــد ناب عنه في هذه المهمة أعوانه وأصهاره بنـــي أشقيلولة (4) ، غير أنه وبعد شهر واحد فقط راجع أهل إشبيلية دعوة ابن هود ، وأخرجوا ابن الأحمر من مدينتهم (5) .

أمـــام هذا الفشل المستمر اتجهت أنـظار ابن الأحمر إلـــى الجنوب أكثر وهذه المرة

---

(1) عنان: المرجع السابق، 53/4

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، 296

(3) TERRASSE, Op Cit, p 175

(4)بني أشقيلولة وينتسبون إلـى بني تجيب وقيل غير هذا ، ذلك أن لقب أشقيلولة ليس عربياً بل هو لبعض المولدين ، وكان رئيسهم أبو محمد عبد الله بن علـــي بـــن محمد التجيبي ، عـــرف عنه الشجاعـــة والجلد ، ولـي مدينة مالقة ، وكان صهر السلطان محمد بن الأحمر على إحدى ابنتيه " ولـــه منه محل كبير ، ومكان قريـــب ، ولـــه مـــن ملكه حظ رغيب " (ابن الخطيب : الإحاطة ، 291/3 ، الطوخي : المرجع السابق، 30)

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 155/1

إلى غرناطة ، خصوصاً بعد الفتنة التي وقعت فيها إثر مقتل واليها عتبة بن يحيى ، فأجمع أهلها على خلع طاعة ابن هود وبيعة ابن الأحمر (1) وهذا بتدخل أحد أعيان غرناطة ابن أبي خالد ، الذي استدعى محمد بن الأحمر وهو بجيَّان (2) ، بأن بعث إليه ببيعة أهل غرناطة مع أعيان من أهلها عام 635 هـ/ 1238 م ، فبادر ابن الأحمر واتجه نحو غرناطة ودخلها، ويصف ابن عذارى هذا الحدث بقوله : " فأقبل ابن الأحمر إلى غرناطة وما زيه بفاخر، ونزل بخارج غرناطة على أن يدخلها من الغد غدواً ثم بدا له غير ذلك فدخلها مع غروب الشمس يوم نزوله " (3) ، ويصف أحد الشهود هذا الموقف بقوله : " فعاينته يوم دخوله بشاية مطلعة أكتافها مقطعة [...] وعندما نزل بباب جامع القصبة ودخله ، فدفع الأشياخ السلطان إلى المحراب فصلى بهم [...] ثم خرج إلى قصر باديس فدخل في خاصته " (4) ، ومنذ تلك اللحظة أصبحت غرناطة مقر حكمه وعاصمة دولته الفتية، فجبى الأموال، وأسس حصن الحمراء ووطد حكمه (5)، وما كاد يستقر في عاصمة ملكه حتى أخذ يتطلع إلى مدن الجنوب الأخرى ، فبادر إلى المرية واستطاع أن يأخذها من سيدها محمد بن الرميمي الثائر بها على ابن هود صلحاً سنة 635 هـ /1238 م (6) .

اتجه بعدها إلى مالقة حيث استدعاه أهلها بعد أن ثار بها عبد الله بن ذنون وأراد الاستقلال بها وهذا بعد وفاة ابن هود سنة 636 هـ/ 1239 م ، فانتهز ابن الأحمر الفرصة وضم إليه مالقة وبهذا استولى على ميناءين هامين و ضروريين لمملكته الحديثة (7) .

لكن واجهت هذه الدولة الحديثة عدة مشاكل داخلية وخارجية، فداخلياً كانت أكبر

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، 342

(2) جيان jean من بلاد غرب الأندلس وهي من المدن القديمة ، ليست بعيدة عن قرطبة ، تمتاز بالحصانة وتتبعها الكثير من الأقاليم والحصون والقرى و" قد جمعت مدينة جيان طيب الأرض وعذوبة الماء وكثرة الثمار والعيون (مجهول : المصدر السابق، 46)

(3)المصدر نفسه : 342

(4) المصدر نفسه : 342

(5) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، 44

(6) الطوخي: المرجع السابق، 29

(7) القلقشندي أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت،5/ 261 ، الطوخي: المرجع السابق، 30

مشكلة هي نقص الموارد المالية ، خاصة مـــع تدفق المهاجرين الفارين من القواعد الأندلسية التي سقطت فـــي أيدي النصارى ومـا سببه ذلك من ضيق في معيشة السكان وحاجة إلى دفع رواتب الموظفين وأفراد الجيش ، فلجأ ابن الأحمر لعـــدة وسائل لتوفير هذه الأموال (1) ، فقام بمصادرة أموال المشرفين (2) وممتلكاتهم مثـــل محمد بـن عروس مشـــرف مدينة المرية (3) كما قام بالتظاهر بالطاعة لسلاطين بنـــي حفص بتونس ، وتحصل جراء ذلـك علـــى إعانات مـــالية (4) ، بـــل كـــان يـرسل الوفود إلـــى تونس لتحصيـــل هذه الأموال بداعـــي الإعانة علـــى الجهاد (5)، وقد حاول وبداعـــي حاجته للأموال احتلال مدينة سبتة الغنية والهامة سنة 659 هـ /1260 م، لكنها فشلت (6)، وعرف عنـه أنه كان حريصاً على أموال دولته، بعيداً عن الإسراف والمحاباة، بل كان يباشر أمور جبايته بنفسه (7).

أمـــا خارجياً فكانت الأخـطار أكبر وأشـد، أمـام قوات الممـالك النصرانية الزاحفة علـــى الـقواعد الإسلامية، وحـاول ابن الأحمر أن يواجه ذلك بكل ما أوتـــي مـــن إمكانيات وتجلـــى ذلـك فـــي حصار ملك قشتالة فرناندو الثالث لمدينة جيّان سنة 643 هـ/ 1246 م ، و طول مـدة هذا الحصار حاول ابن الأحمر مساعدة المدينة، لكنه لم يستطع فك هذا الحصار وحـــاول إدخـــال المؤن إليها سراً لكـــن أمـــره اكتشف، فاقتنع ابن الأحمر أن السبيل لإبقاء مملكته هي مهادنة العدو وهذا لضمان سلامته وسلامة مملكته (8).

---

(1)الطوخي : المرجع السابق ، 30-31

(2)المشرفين هو جمع لمشرف ، وقد كـان لكـل مدينة أندلسية مشرف ويقيم في دار الإشراف ، وهو الموظف المالي الذي يجمع الإيجارات والضرائب الخاصة بممتلكات السلطان ، كما لقـب بهـذا اللقب المفتش الـذي يجبي الرسوم المستحقة على البضائع الصادرة والواردة من وإلـــى الأندلس وانتقل هذا اللقب إلى إسبانيا المسيحية باسم al mo'jarife (المرجع نفسه، 211)

(3) ابن عذارى: المصدر السابق، 349

(4)ابن الخطيب : الإحاطة ، 52/2 ، اللمحة، 45

(5)ابن خلدون: المصدر السابق، 2556/2

(6)الطوخي : المرجع السابق ، 30

(7)ابن عذارى: المصدر السابق، 358

(8)فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 26

لقد كـان ابن الأحمر يواجه فـي تلك الفترة أنشط مراحل حرب الاسترداد النصرانية ، فقد قام فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون بتوسيع حـدود مملكته إلـى غاية قرطبة و إشبيلية ، وقام خايمي الأول ملك أراغون بالاستيلاء علـى الجزر الشرقية ومرسية وبـاتت كل جزيرة الأندلس تقريباً تحت أيدي ملوك النصارى، وبات الاعتقاد أن حـروب الاسترداد قـد أشرفت علـى نهايتها (1) ، أمام هذه الموجة الجارفة لممالك إسبانيا النصرانية، كان علـى ابن الأحمر أن يتصرف بما يضمن بقاء دولته الحديثة، فقرر إتباع سيـاسة المهادنة (2) حيث " وصل يده بـالطاغية فـي سبيل الاستظهار علـى أمره فوصله وشـد عضـده وصـار ابـن الأحمر في جملته"(3) وعقد فـي سبيل ذلك إتفاقاً يقضـي بتوقيف القتال عشرين عـاماً والتخلـي عن جيان و أرجونة وحـصونهما، وأن يخضع ابـن الأحمر لملك قشتالة، ويؤدي لـه جزيـة قدرها مئـة وخمسين ألف ذهبية، ويعينـه ضـد أعدائه ويحضر اجتماع الكورتيس (4)، مـرة فـي السنة كسائر النبلاء التابعين لعرش قشتالة (5)، وحـدث أن توفـي فرناندو الثالث ملك قشتالة فحضر ابن الأحمر جنازته رفقة مئة مـن الفرسـان وهـذا كأي تابع للمملكـة (6)، ومـن دلائل هذه التبعية أيضاً واستمرارها أن الكثير من الوثائق التـاريخية المتصلة بالملك ألفونسو العاشر تحمل توقيع " دون أبو عبد الله بـن نصر ملك غرناطة الخاضع للملك " (7) ، هذا المشهد المتكرر من التبعية منذ عهد الطوائف قـبل به ابن الأحمر في الأرجح مرغماً فقد كان يهدف إلـى جمع كلمة الأندلس تحت لوائه وإدماج ما تبقـى من أراضيها فـي مملكة لـه ولعقبه، فهو لم يكن ينوي البقاء تحت سلطة النصارى إلـى الأبد بـل هـدف إلـى الاستقرار

---

(1) Descola jean : histoire de l'Espagne chrétienne ; Robert Laffont ; paris ; 1951 ; p 188

(2) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 26

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 1559/1

(4) الكورتيس CORTES شبـه هيئة تشريعية أو برلمان أسسـه ألفونسو السـادس ملك قشتالة للحد مـن سلطة الأشراف والنبلاء، يتكون من عظماء المملكـة وكبار رجـال الدين والأشراف، يعقدون اجتماعاتهم من خلاله لوضع القوانين الخاصة بالمملكة و يتم هذا تحت سلطة الملك (عنان: المرج السابق، 389/2)

(5) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 27

(6) TERRASSE, Op Cit, p176

(7) أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم : ابن عاصم الغرناطي وكتابه حدائق الأزهـار، ضمن التـراث المغربـي والأندلسي التوثيق والقراءة، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 1991، 261 وكلمة "دون" تعني السيد

داخل حدود مملكتـــه المتواضعة (1)، فرغـم هـــذا السلم الـمكدر بالخضوع والمهانة توجـــه إلـــى العمل علـــى توطيد مملكته وتنظيم شؤونها وتنمية مـــواردها (2)، بـــل استفـاد محمد بن الأحمر من هذه التبعية حيث كان لـــه الحق فـــي غزو المناطق جنوب غرناطة بكل حرية و استطاع أن يمـد سلطانه بضم المرية ولورقة ووصل إلـــى حدود مملكة مرسية (3)، وبذلـك استطاع أول ملـك نصري أن يقيم دولة انطلاقاً من غرناطة وأن يؤسس أجهزة دولته ، وأن ينقذ ما تبقى من مناطق جنوب الوادي الكبير فيما يسمى بمملكة غرناطة (4) .

رابعاً عوامل ثبات وبقاء مملكة بني الأحمر:

استطاع محمـــد بـــن الأحمر- بعد جهد كبير- أن يـؤسس مملكته فـــي أقصـــى جنوب جزيرة الأندلـــس ويضمـــن بقاءها، وذلك وسط محيط ملـــيء بالأعداء المتربصين، خاصة الـقوى النصرانية التـــي تريد إتمـام عمليات غزوها لأراضي المسلمين ومدنهم، لكن مملكة بنـــي الأحمر استطاعت الاستمرار وسط هـــذا الجو المشحون، وهـذا يعود إلـــى عدة عوامل أهمها :

جغرافياً تتمركز مملكة غرناطة فـــي أقصـــى الجزء الجنوبي للجزيرة الأندلسية فهي بعيدة نوعاً ما عـــن أيادي الممالك النصرانية التـــي استثمرت قوتها وتفوقـها العسكري في اقتطاع قواعد الأندلس و ضمها (5)،كما عرف عن أراضي مملكة بني نصر كثرة الجبال التي يخترقها ووعورة مسالكها و كذلك تعدد الأنهار والمجاري المائيـــة والتـــي شكلت خطاً دفاعياً طبيعياً (6).

---

(1) محمد عبد الله عنان : تراجم إسلامية شرقية و أندلسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1970 ، 261

(2) عنان : دولة الإسلام ، 432/3

(3) TERRASSE, Op Cit, p 175

(4) Guichard Pierre ; AL – ANDALUS 711-1492 une histoire de l'Andalousie arabe, hachette littératures , paris ,édition 4 ,2000 , p 208

(5)الحجي عبد الرحمن علـــي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتـــى سقوط غرناطة، دار القلم،دمشق، ط5، 1997 ، 519

(6) Dhina Atallah : les états de l'occident musulman aux XIII, XIV et XV siècles, office des publications universitaires, Alger, 1984, p

كما احتوت مملكة غرناطة على مقومات اقتصادية ، لم تضمن لها البقاء فحسب بـــل حققت لها تطوراً وازدهاراً جلياً، فقـد احتوت مـــدن هذه المملكة علـــى نشاطـات اقتصادية عديدة ، فمدينة غرناطة تحتوي على فحص"هو أطيب البقاع نفعة وأكرم الأرضين تربة " (1)، وقـد استغل هذا الفحص فـــي زراعة مختلف المحاصيـــل مـــن أشجـــار مثمرة وحتـــى قصب السكر(2)، وكانت الأنهـــار المنتشرة تضمـــن ري مختلف البساتين والـجنـــان والرياض علـــى كثرتها (3) وتساعد علـــى تحريك الطواحين (4)، وبتشجيع من سلطان بنـــي نصر استغلت هذه المقومات فـــي إحياء موات الأرض وتربية الحيوانات، كمـــا تـم استخراج مختلف المعادن التـــي تزخر بها أرض المملكة وبهذا لـم تمض إلا سنوات قليلة حتـــى كثر العمران و ازدهرت المملكة (5) ، وقـــد استفادت مملكة بنـــي نصر وبلا شك مـــن الخبرات والمهارات التـــي وفدت إليها من مختلف نواحـــي الأندلس التـــي سيطر عليهـــا النصارى، فاعتبرت غرناطة ملاذاً أخيراً لهم يلجأون إليه (6)، مما جعلها تصنف كمملكة للمدجنين(7) .

ولا يجب أن نهمل أن ابـــن الأحمر قـد استعان فـــي مد سلطانه بأسرته بني نصر وأصهاره بني أشقيلولة والموالـــي والمصطنعين، خاصة فـي أول دولته والتي وظفها بطريقة ناجعة في تحقيق أهدافه (8) .

من بين العوامل المساعدة علـــى استمرار دولة بنـــي الأحمر العامل الخارجية ، والتـــي تعامل معها سلطان بني نصر بكل ذكاء، فقد استفادت مملكة بنـــي نصر من الخلافات التـــي نشبت بين مملكتـــي قشتالة وأراغون حـــول أملاكهما ومناطق نفوذهما فـــي أراضـــي

---

(1) الحميري : المصدر السابق ، 46

(2) المصدر نفسه : 24

(3) ابن بطوطة : محمد بن عبد الله الطنجي، تحفة النظار فـي غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التـــراث، بيروت ، 1968 ، 655

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، 83/2

(5) أرسلان شكيب: خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1938، 75

(6)الحجي : المرجع السابق، 521

(7) TERRASSE, Op Cit, p 203

(8)ابن خلدون: المصدر السابق، 1561/1

المسلمين التـي يتم غزوها وضمها، فكلتا المملكتين لـم تكونـا ترغبـان فـي تقدم إحداها على الأخرى وتفوقها عليها (1)، واستعملت غرناطة ديبلوماسيتها الناجحة فـي استغلال هذه الخلافـات لصالحها فيـما وصف بسياسة اللعب بثلاث ورقـات (2)، كمـا استفادت مملكـة بني الأحمر مـن الأزمات الداخلية والنزاعات الأهلية في كل مملكة (3)، ورغـم زوال هـذه الخلافات النصرانيـة، والاتفـاق علـى ضم أراغون لمدينة المرية إلا أن هـذا كان متأخراً لأن مملكة غرناطة قد اكتسبت قوة مكنتها من إفشال حملات الأراغونيين (4) .

بالإضـافة إلـى كـل العوامل سابقة الذكر، هنـاك عامل أساسـي كـان لـه فضل فـي استمرار دولة بنـي نصر والمتمثل فـي المساعدة التي تلقتها من الضفة الأخرى للمضيق ومن دولة فتية أيضاً وهـي دولة بنـي مرين، هـذه الدولة التـي حافظت علـى السنة الحسنة التـي عملت بها دول المغرب مـن قبـل، المرابطون والموحدون فـي جواز مقاتليهم للجهاد فـي الأندلس (5)، سـواء كـان ذلك بصفة رسمية أو تطوعية، وهذا ما سمح لبنـي الأحمر علـى " بلوغ أمرهم و تمهيده " (6)، ومما لا شك فيه أن مملكة صغيرة ومحاطة بأعداء أكثر قـوة منها، ستكون بحاجة إلـى مساعدة جيرانها وإخوانها فـي الدين والعقيدة بعدوة المغرب، وقـد استجاب سلاطين بنـي مرين إلـى نداء أهل الأندلس وهـذا بقيـادة جيوشهم وعبورهم المضيق للجهاد ورد زحف الممالك النصرانية (7).

المبحث الثاني: بداية التدخل المريني في الأندلس :

أولاً التدخل التطوعي:

أ/ إستنجاد الأندلسيين بدول المغرب:

زحفت قوات الممـالك النصرانيـة، وضيقت علـى مسلمـي الأندلس وألجـأتهم

(1) Guichard Op Cit, p212

(2) العبادي أحمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس،منشأة المعارف،الإسكندرية،ط1 ،2000 ،234

(3) Dhina Op Cit, p 47

(4) Guichard Op Cit, p212

(5) الحجي : المرجع السابق، 521

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، 1561/1

(7) الغنيمي عبد الفتاح مقلد : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مكتبة المدبولي ، القاهرة، ط1، 1994، 222/5

إلـــى الساحل الجنوبـــي للجزيرة ، وسقطت قواعـد الأندلس الكبرى أو كادت، وكانت" قليلة الحامية ضعيفة الحال" (1)، ولما علـم أهل الأندلس أنـــه لا طاقة لهم لمواجهة هـذه الممالك النصرانية الفتيـة، كـــان مـــن البديهي أن يلجؤوا لطلب المســاعدة من دول المغرب الجديدة التـي ورثت الموحدين ، ففـي شرق الأندلس زحف الأراغونيون بقيـادة ملكهم خايمـــي الأول وهـم ينتزعون المدينة تلـــو الأخرى وحاصروا بلنسية عـدة مرات فما كـان من أهلها سوى العمل للدفاع عـــن مدينتهم وفـــي نفس الوقت أرسل سيد بلنسية أبو جميل زيان بن مردنيش رسله إلـــى مختلف الحواضر الإسلاميـــة المغربية طلباً للنجدة والمدد، فـأرسل الفقيه محمد بن خلف بن القاسم إلى مرسية، وبعث بسفارة إلـــى إفريقية عنـد بنـي حفص برئاسة وزيره ابن الأبار(2) وحمَّلـه بيعته وبيعة أهـــل شرق الأندلس وقـد أنشد ابـــن الأبار فـــي حضرة أبي زكريا الحفصـــي قصيدته السينية المشهورة في نجدة الأندلس : (الطويل)

أدرك بخـــيلك خـــيل الـــله أندلســـا إن السبيل إلـــى منجاتها درسـا

وهب لها من عزيز النصر مـالتمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا (3)

كـــان رد فعل السلطان الحفصـــي بإمدادهم بكميات مـــن الطعام والأسلحة والمـال، وفعلاً وصل المـدد بلنسية لكنـه ألفاها محاصرة مـــن قبل قوات مملكة أراغون فـــلم يستطع الأسطول الحفصي مساعدة المدينة المحاصرة، فأفرغ حمولته بمرسى دانية وانصرف (4) .

وربما نتساءل عن السبب فـي كون استجابة أبو زكريا الحفصي لم تكن في المستوى الذي كان يتطلع إليه أهل الأندلس، قـد يعود ذلك إلـــى مجموعة من العوامل الموضوعية لعل أهمها :

لم تكن الدولة الحفصية في بداية انطلاقتها والتـــي بنيت على اسم أسرة بني حفص ذات عصبية حقيقية تستند عليها، مـــا عدا بعض الأنصـــار من بقايا الموحدين ،كذلك عـــدم وفـرة الجيش الذي يستطيع السيطرة على رقعة جغرافية كبيرة، فسبعين ألف وهو عدد أفراده لا يفي بالغرض، فالسيطرة على المغرب كافة ثم الاتجاه نحو الأندلس يبدو حلماً بعيد المنال،

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 2989/2

(2) أبو الفضل محمد أحمد :شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، 139- 140

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 2551/2

(4) المصدر نفسه، 2552/2

مع وجود دولتين فتيتين لهما عصبية كبيرة،بني عبد الواد بتلمسان،وبني مرين بفاس (1) .

إذا كـان جهد أهـل شرق الأندلس عند بنـي حفص لـم يثمر، ولـم يوفر المسـاعدة الضرورية لإنقاذ بلادهم مـن سيطرة مملكة أراغون، فإن ذلك لم يفت من عضد أهل الأندلس كلهم، ممثلين فـي علمائهم وخطبائهم وشعرائهم ، بل استمروا فـي إرسـال الرسائل والوفود بالصريخ إلـى أمراء المغرب ممـا عانوه مـن النصـارى ويطلبون الغـوث والنجـدة (2)، واتجهت الأنظـار فـي تلك الفترة إلـى قـوة جديدة بدأت تظهر فـي الساحة المغربية، وهـذا علـى أنقـاض الموحدين، وهـي دولة بنـي مرين ،التـي بـدأ نجمها يتألق، وتبدو ضخامة مواردها وحشودهـا مشجعـة علـى اللجـوء إليها وطلب عـونها، ولهـذا تقدمت النخبـة الأندلسية مـن هـذه الدولـة الجديدة طمعاً فـي مساعدتها (3)، ومـن بـين الـذين عملوا على طلب نجدة بني مرين فئة العلماء و الفقهاء، نذكر منهم عبد المنعم بن علـي بن سدراي بن طفيل الـذي اجتهد فـي طلب النجـدة والغوث فكان " من أعظم الأسباب فـي جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس في أول الدولة النصرية إذ كان الروم قد طمعوا في استخلاصها فكـان يحرض علـى ذلك" (4) ، وكمـا فعل فقهـاء الأندلس وشعراؤهـا اجتهـد نظراؤهم فـي المغرب علـى تبليغ هذه الاستغاثة والعمل علـى توفير الدعم اللازم لمن بالأندلس، فهذا الفقيه مالك بن المرحل نظم قصيدة يحرض فيها أمراء بنـي مرين وسائر المسلمين بالمغرب علـى ضرورة جهاد النصارى ونصرة أهل الأندلس، وكان مطلعها : (بسيط)

استنصر الـدين لكم فاقدموا　　فـإنـه إن تسلمـوه يُسلَمُ

لا تسلموا الإسلام يا إخواننا　　وأسْـرِجوا لنصره وألجموا

وقـد قرأت القصيدة فـي جـامع القرويين بفاس وأبكت كـل مـن سمعها (5)، وبهـذا صـار بنو مرين الملجأ الأخير لأهل الأندلس لإنقاذ ما تبقى من أرض الإسلام في الأندلس .

---

(1) المطوي محمد العروسي : السلطنة الحفصية ودورها فـي المغرب الإسلامـي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، 139- 140

(2) عنان: المرجع السابق، 47/4

(3) المرجع نفسه، 435/3

(4)ابن الخطيب: الإحاطة ، 19/4

(5)علي بن أبي زرع الفاسي : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 19

ب/ ظروف نشأة دولة بني مرين:

بنو مرين فرع مـــن قبيلة زناتة البربرية (1) وقيل مـــن أشرافهم (2) ونسبهم البعض إلـى بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار واعتبرهم من العرب حتـى قال بعض شعرائهم

أيها السائل عن أحسابنا قيس عيلان بنو الغر الأول (3)

وهـم من القبائل الزناتية التـــي لم تشأ أن تخضع لنفوذ الموحدين عكس أبناء عمومتهم بنو عبد الواد، فآثروا الهجرة نحـــو الصحراء باعتبارهـــم بدو رحل، فينتجعون فـــي الربيع شمالاً علـى مشارف المغرب الأقصى، ثم ينزلـون شتاءً إلى الصحراء، فيتحركون في كامل هذه المنطقة حتى بلاد الزاب وإفريقية (4) .

فـــي أواخر الدولة الموحدية عاشت بلاد المغرب عامة وبلاد الأقصـــى خاصة حالة مـــن الاختلال و الفوضـــى، وهـــذا نتيجة الحـــالة السيئة للدولـــة الموحدية خصوصاً عقـب الهزيمة المدوية لجيوشها فـــي واقعة العقاب ومـــا نتج عنها من انفراط لعقد بنـــي عبد المؤمن وتنافسهم علـــى الخلافة (5)، وقـــد أثـــرت كـــل هـــذه الظروف علـــى التركيبـــة البشريـــة فـــــي المغرب الأقصـــــى، حيث تنـاقص عـدد السكان، وخلت العديد من القرى من سكانها،

---

(1) زناتة من ولد أجانا أو زانا بن يحيـــى بن ضريس سماه البربر للتعميم زانات وعربـــه العرب إلـــى لفظ زناتة ، وهم من أكبر شعوب البربر علـــى الإطلاق وقد تقلدوا الملك والإمارة فـــي الإسلام عدة مرات ، والمعروف عنهم أنهم من سكان الخيام ومربـــي الإبل والخيل ، وقـد استوطنوا أرض الزاب وعمـوم أرض المغرب الأوسط حتـــى عرف بـــاسمهم " وطن زناتة " وتنضوي تحت زناتة عـــدة قبائـــل وبطون أهمها : بنـــو مرين وبنـــو عبد الواد وبـــنو توجين ومغراوة وبنـو راشد وغيرهم، وعرف عنهم أحياناً الاستقرار وهـذا بنسب متفاوتة ، وكانوا كثيراً ما يغيرون علـــى المناطق التلية والحضريـــة. أنظر: إسمـــاعيل بن الأحمر : روضة النسرين فـي دولـــة بنـي مرين ، تح: بن منصور عبد الوهاب،المطبعة الملكيـــة ، الرباط، ط1، 2003، 17، بن منصور عبد الوهاب : قبائل المغرب ، المطبعة الملكية، الرباط، 1،1968/311 ،بن عميرة محمد : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، 21

(2) ابن الأحمر: المصدر السابق، 17

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 15-16

(4) أبو الضيف مصطفـى احمد عمر: القبائل العربية فـــي المغرب فـــي عصري الموحدين بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، 169

(5) السلاوي: المرجع السابق، 3/2

ودخلت المنطقة برمتها فـــي حالة من انعدام الأمن بسبب تناقص الحاميات الموحدية وغياب السلطة المركزية (1) .

هذه الظروف حفزت وافداً جديداً علــى الاستقرار والاستفادة، كــان هــذا الوافد قبائل بنـــي مرين، التـــي كــانت تنتجع فــي تخوم المغرب الأقصـــى وتلاله، ولم تكن هذه القبائل الزناتية تدين بالــولاء لأي سلطة مركزية، ولا تدفع أي نــوع مــن الضرائب (2)، وحــافظت علــى خصــائصها وعــاداتها، واستمرت هــذه الحالة إلــى غاية بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، حيث انتبهت إلــى تغيــر ظروف المغرب الأقصــى، وضعف سلطـــة الموحدين بــه، وبلاد المغرب علــى مــا هـــي عليــه مــن " خصبها و نقاية هوائهــا وسعــة مسارحها و مراعيها وعذوبة مائها وكثرة أنهارها والتفاف أشجارها وبركات ثمارها"(3) هذا ما شجع بنـــي مرين على النزوح إلى الشمال واكتساح بلاد المغرب الأقصـــى، حيث انتشروا في نواحيه وأخذوا في الإغارة على مدنه وقراه واستولوا علــى كامل هــذه المنطقة وأصبحوا عبئاً جديداً وخطراً جديّاً علـــى سلطــة الموحدين المتهاوية (4)، وهــو مـــا حـــدث فعلاً حيث استطاع بنــو مرين هزيمــة الموحدين فــي عــدة معــارك وقلصوا من سلطتهم علــى المغرب وهدَّدوا دولتهم بشكل حقيقي (5) .

كان أمير بني مرين عند دخولهم إلى المغرب الأقصى هـــو عبــد الحق بن محيو بن أبــي بكر بن حمامة بن محمد المريني(6)، الذي استطاع أن يهزم الموحدين فــي معركة وادي نكور سنــة 613 هـ / 1215 م (7) ويضــم تازة ويطيح فيها بالموحدين مجــدداً ويغنم أموالهم وأسلحتهم (8).واستمر بنو مرين فـــي التقدم علــى حســاب الموحدين،وأحرزوا الانتصار تلو

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 282

(2) السلاوي : المصدر السابق، 3/2

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 26

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، 2826/2

(5) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 28

(6) السلاوي : المصدر السابق، 3/2

(7) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 28

(8) السلاوي : المصدر السابق، 4/2

الآخر، لكن حالهم لم تستمر علـى هـذا الوفاق والتفاهم حيث لم يلبث أن دبت الفتنة والفـرقة فـي صفوفهم ، حيث خرج بنـو عسكر بن محمد علـى بنـي عمومتهم بنـو حمامة كاحتجاج على استئثارهم بالإمارة دونهم (1)، فاتجه بنو عسكر إلـى محالفة الموحدين وقبائـل رياح (2) العربية وهـي يومئـذ " أقوى قبـائل عرب المغرب وأشجعها وأكثـرها خيـلاً وأمـوالاً ورجالاً" (3)، ففي سنة 614 هـ /1216 م التقى الجمعان بالقرب من وادي سبو وبعد معركـة دموية قتل فيها أمير بنـي مرين عبد الحق وكبير أبنائـه إدريس تمكن بنـو مرين مـن حسم الموقف لصالحهم وألحقوا بأعدائهم هزيمة كبيـرة، وبايعوا لتوهم عثمان بن عبـد الحق أميراً عليهم (4).

في عهد أبـي سعيد عثمان بن عبد الحق استطاع بنو مرين فرض طاعتهم على كثير من بـلاد المغرب الأقصـى وفرض الإتاوات وعينوا العمال علـى الأقاليم وأمَّنوا البلاد وهذا إلـى غـاية وفـاته مقتولاً سنة 638 هـ / 1242 م، ليتولـى بعده أخـوه أبـو معرف محمد بن عبد الحق (5) .

وقـد استمر الأمير أبو معرف فـي سيرة أخيه من إخضاع البـلاد المغرب وجبايـة الضرائب وفرض الطاعة وهـذا ما حفز ضـده الموحدين وخليفتهم بمراكش (6)، ففـي سنـة 642هـ / 1244م جهز السعيد الموحدي جيشاً كثيفاً للقضاء على بني مرين فالتقى الفريقين

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 2826/2

(2) رياح من أعز قبائل هلال وأكثرهم عدداً عند دخولهم إلى المغرب ، وهم ينتسبون إلـى رياح بن أبـي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ، وكانت مواطنهم بين بلاد الجريد إلـى القيروان وإلـى المسيلة وورقلة ، وكـانوا كثيري الحركـة والتنقل ولهم أقطاع بالحضنة ونواحـي قسنطينة وبجاية ، والمنصور الموحدي هـو مـن نقل أعداداً منهم إلى بلاد الهبط بين قصر كتامة (القصر الكبير) إلـى ساحل المحيـط ، وقد حالفوا الموحدين طوال عصرهم ، وحاول بعضهم العودة إلـى مواطنهم بإفريقية ، ولما جاءت دولة بني مرين لم تحقق السيطرة عليهم إلا على أجسادهم ، ورغم ذلـك حالف بعض رياح بني مرين خصوصا أولئك الوافديـن حديثاً مـن المغرب الأوسط و إفريقيـة (ابن خلدون: المصدر السابق، 2339/2 ، أبو الضيف مصطفـى احمد عمر، المرجع السابق،212 ، 243)

(3) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، المصدر السابق، 286

(4) المصدر نفسه، 287

(5) السلاوي: المصدر السابق، 5/2

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، 2828/2

بموضع مـن أحواز فاس يعرف بصخرة أبـي بياش وفـي هـذه المعركة فقد بنـي مرين أميرهم (1)، وعرفوا بذلك أصعب أيامهم حيث هزموا في هذه المعركة ولجأوا إلى الصحراء.

تولى بعدها الأمير أبو بكر بـن عبـد الحق الذي يعود لـه الفضل فـي وضع رسوم دولـة بني مرين فهـو أول من " جند الجنود وضرب الطبول ونشر البنود، وملك الحصـون والبـلاد واكتسب الطارف والتلاد " (2)، ويعـود الفضـل للأمير أبـي بكر فـي زيادة نفـوذ بني مرين في كامل بلاد المغرب حيث سيطروا لمدة علـى مدينة مكناسة، وأمام عجز الخليفة الموحدي السعيد لمواجهـة الخارجين عليـه ثـم وفـاته رأى أبـو بكر بن عبد الحق الفرصة للقضاء نهائياً علـى دولـة الموحدين حيث دخل فاس وأخـذ البيعـة مـن أهلها (3)، ورغم خروجها عـن طاعته لمدة إلاّ أنـه استطاع العودة إليها وتمكن مـن دخولهـا بعد حصار شاق سنة 648 هـ / 1250م.

وفـي السنة الموالية سيطر علـى مدينة سلا ورباط الفتح، ورغـم نجـاح الموحدين وخليفتهم المرتضى في استرجاعها إلاّ أن ذلك لم يستمر حيث عـاد بنو مرين ودخلوا سلا، وقـد عرف بنـو مرين فـي هـذه الفترة قوة مكنتهم مـن هزيمة جيوش الموحدين قرب فاس (4) " واعتـز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوماً لـه ما بعده " (5)، لـم يكتف الأمير أبو بكر بذلك حيث ولـى وجهته نحـو بلاد سجلماسة ودرعـة خاصـة بعـد علمه بطمع أمير بني عبد الواد يغمراسن بن زيان بهما فتواجه الفريقان، وكانت الغلبـة لبنـي مرين وسيطروا بذلك علـى كـامل تـلك المنطقـة، وفـي سنـة 656 هـ / 1258م، توفـي الأميـر أبـو بكر

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 290

(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، 291 السلاوي: المصدر السابق، 5/2

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 2830/2-2831، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 292، 294

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، 2832/2-2833

(5) المصدر نفسه، 2833/2

بن عبد الحق بعد مرض أصابه (1) وبوفاته " افترقت بني مرين فرقتين فبايعت طائفة للأمير[...] أبي يوسف وبايعت طائفة لابن أخيه عمر بن أبي يحيى" (2) وكان جناح أبو يوسف هو الأقوى باعتباره يتكون من المشيخة من أهل الحل والعقد، ولهذا سارع أبو يوسف بالعودة من تازة نحو فاس وحاصرها، ورغم أنهما تصالحا أول الأمر إلاَ أن الخلاف عاد مرة أخرى (3) واستولى أبو يوسف على فاس و" استقرت الخلافة بيده واستوسق له الأمر " (4) .

بويع يعقوب بن عبد الحق (5) في رجب سنة 656 هـ/ أوت 1258 م وقد استولى على بلاد المغرب الأقصى، من أقصى السوس إلى وجدة وهو من قطع دعوة الموحدين ومحى دولتهم بدخوله مراكش كما دخل سجلماسة ودرعة وطنجة، وبايعه أهل سبتة على مال يؤدونه إليه (6)، وهو أول الملوك من بني مرين من فكر في الجهاد وعبور المضيق للغزو في الأندلس من حيث كان " مؤثراً عمل الجهاد كلفاً به مختاراً له متى أعطي الخيار من سائر آماله " (7) حتى أنه عزم على الغزو في حشمه و ذويه واتجه فعلاً إلى سبتة للعبور لكن منعه أخوه (8)، لذا لن يكون أبو يوسف أول العابرين إلى الأندلس بل سيتم ذلك على يد فرد آخر من أسرة بني مرين.

---

(1) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، 296-297 ويذكر ابن مرزوق أن و فاته كانت سنة 658هـ-1260م (ابن مرزوق محمد بن أحمد التلمساني : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح: ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، 115)

(2) ابن مرزوق: المصدر السابق، 115

(3) السلاوي: المصدر السابق، 10/2

(4) ابن مرزوق: المصدر السابق، 115

(5) يعقوب بن عبد الحق يكنى أبو يوسف أمه حرة هي أم اليمن بنت محلى البطوي ولقب بالقائم بأمر الله والمنصور به، وكان أبيض اللون معتدل الجسم حسن الصورة والوجه يغلب عليه الشيب وعرف عنه أنه فارس شجاع وبطل مجرب ، له من الأولاد عشرة ذكور وابنة واحدة و يعد أعظم سلاطين بني مرين (ابن الأحمر : المصدر السابق، 27-28)

(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 299

(7) ابن خلدون: المصدر السابق، 2845/2

(8) المصدر نفسه، 2845/2

ج/ عملية عبور الأمير عامر بن إدريس بن عبد الحق إلى الأندلس:

بوصول أبـــي يوسف يعقوب بـــن عبد الحق إلـــى كرســـي إمارة بني مرين زادت الاحتمالات بإمكانية قيام بنـــي مرين بعمل ما لمساعدة مسلمـــي الأندلس، لكـن ظروف الدولة المرينية الحديثة، وعدم مقدرتها علـــى حشد مـــا يكفي للجواز إلـــى الأندلس منع ذلك، فكان الاتجاه نحـو الحملات التطوعية .

وقد صادف في تلك الفترة أزمة حكم داخلية فـي البيت المريني، وكان ذلك إثر الخلاف الذي شب بين أبي يوسف وأبناء أخيه إدريس بن عبد الحق(1) .

وكان علـى رأسهم عامر بن إدريس الذين اشتد عودهم وقويت شكيمتهم ورأوا أنهم أحق بالملك من أبي يوسف وأبنائـــه باعتبار إدريس يعتبر أكبر أبنـــاء عبد الحق(2) فمـــا كان منهم سوى التمرد، وقامـــوا بالاعتصام بجبل علودان من جبال غمارة (3) فكان رد فعل أبو يوسف العمل على مجابهتهم والقضاء على ثورتهم، لكنـــه آثر استرضاءهم والعمل علـــى استنزالهم وهـو مـــا تـــم فعلاً (4)، وأمـــام خطر بقـــاء عـــامر بن إدريس وأشياعه فـــي المغرب رأى فـــي عبورهم إلى الأندلس حلاً لأي خلاف قد يقع مستقبلاً، فاستأذن عامر بن إدريس الأمير أبو يعقوب في الجواز إلـــى الأندلس بغرض الجهـــاد، فرأى أبو يوسف في ذلك فرصة يجب اغتنامها ، وهـــذا لإبعاد هذا الفصيل من بنـــي عبد الحق عن المنافسة علـــى كرسي الإمارة وفـــي نفس الوقت الاستجابة لنـــداء الأندلسيين ونجدتهم (5)، فقـــام أبو يوسف بالإذن لعـــامر بن إدريس ومن معه بالجـواز وقام هـو نفسه بتجهيزهم بالخيل والسلاح بل وأعطـــاهم رايته المنصورة (6).

---

(1) إدريس بن عبد الحق أكبر أبناء عبد الحق بن محيو قتل مع أبيه في حرب قبائل رياح العربية وكان لـه عدة أولاد كفلهم أعمامهم (السلاوي: المصدر السابق،11/2)

(2) المصدر نفسه ،11/2

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 2838/2

(4) السلاوي: المصدر السابق،11/2

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 2989/2

(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 303

وبهذا تحرك نحو ثلاثة آلاف أو يزيدون (1) من متطوعة زناتة، ومعهم أولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق والبعض من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة (2) واتجهوا إلى سبتة، و قام صاحبها أبو القاسم بن العزفي بتوفير المراكب التي حملتهم عبر المضيق نحو الأندلس (3)، وبهذا كانت هذه القوة أول جيش مريني يعبر نحو الأندلس برسم الجهاد وكان ذلك في حدود سنة 660 هـ / 1262 م (4) .

عند عبور هذا الجيش ووصوله إلى بر الأندلس، استقبلهم محمد بن الأحمر الفقيه " واستعد لهم بظريف ضيافات وكرامات حين جوازهم، وأمر لهم بكل ما يحتاجون لجهازهم "(5)، وقد حصل في تلك الفترة أن انتقض الصلح الذي كان بين ابن الأحمر وألفونسو العاشر ملك قشتالة، وبعبور هذه الدفعة من الجنود المغاربة هبَّ أبناء مدينة شريش وقاموا بالثورة على القشتاليين، فهاجموا أحياء النصارى وحاصروا قلعة المدينة واقتحموها و قتلوا قائدها (6) وأعانهم في ذلك الجند المغربي، حيث أبلى في هذه الثورة بلاءاً حسناً (7)، كما ثارت في تلك الفترة أيضاً مدينة مرسية وبايعت لابن الأحمر ولم يتمكن ألفونسو من إخماد الثورة إلاَّ بعد الاستعانة بملك أراغون خايمي الأول وتقدم الملكان إلى غاية فحص غرناطة لكنهما فشلا في اقتحام المدينة واتجها إلى شريش لإخضاعها (8) .

---

(1) يذكر ابن عذارى أن العدد كان ثلاثمائة متطوع، لكن العدد يبدو صغيراً وقد لا يكون له تأثير على مجريات الأحداث في الأندلس لذا فالمرجح هو ثلاثة آلاف كما يذكر عدة مؤرخين (ابن عذارى: المصدر السابق، 430)

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، 1560/1

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 98

(4) اختلف المؤرخون في السنة التي جاز فيها هذا الجيش نحو الأندلس فابن خلدون يذكر سنة 660هـ و 661 هـ أما ابن أبي زرع فيذكر سنوات 661هـ و 662هـ ابن عذارى يجعلها سنة 662هـ أما السلاوي فيرجح سنة 660هـ والمحتمل أنها كانت بين سنتي 660هـ و661هـ (ابن خلدون: المصدر السابق، 1560/1، 2835/2، 2989 ، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ،303، الذخيرة السنية، 98 ، ابن عذارى : المصدر السابق، 430، السلاوي: المصدر السابق،11/2)

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، 432

(6) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 28-29

(7) ابن عذارى: المصدر السابق، 432

(8) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 29

ورغم عودة عـامر بن إدريس إلـى المغرب إلاَّ أن العبور التطوعـــي استمر بعده حيث عبر العديد من زعماء زناتة فـي المغربين الأوسط والأقصى حتى " امتلأت الأندلس بأقيال زناتة وأعياص الملك منهم "(1)، وكان لهم في الجهاد ذِكْر حسن ومقامات محمودة (2) .

ثانياً التدخل الرسمي لبني مرين:

أ/ حملات أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق:

عندما قرر أبو يوسف يعقوب سلطان بنـي مرين الجواز إلـى الأندلس، جهز جيشه وخرج من عاصمته فاس أول شوال من سنة 673هـ / 30 مارس1275م متجهاً إلـى طنجة وأرسل إلى صاحب سبتة آنذاك أبي القاسم العزفي بتجهيز السفـن التـي تسمح للجيش للعبور إلى الأندلس بغرض الجهاد (3)، وبطنجة أقـام أبو يوسف معسكره وجهز خمسة آلاف مقاتل من بنـي مرين وفرسـان العرب وأمَّر عليهم ابنـه أبا زيان " ودفع له رايته المنصورة "(4). وانتقل أبو زيان إلـى مدينة قصر المجاز (5) وهناك وافاه أبو القاسم العزفي بالسفـن فركب أبو زيـان وجنـوده وعبروا المضيق ونزلوا فـي طريف (6) ، ومـن طريف اتجه أبو زيان إلـى الجزيرة الخضراء " ووالـى المسير فـي بلاد العـدو يقتل ويسبـي ويخرب القرى والحصون و يحرق الزرع و يقطع الثمار، وينسف الآثار حتـى وصل إلـى شريش ولم يقدر أحد مـن الروم أن يخرج إليه " (7) وعاد أبو زيان بالغنائم والسبي إلـى الجزيرة الخضراء كدليل على نجاح غزوته و تشجيعاً لمن بالمغرب على العبور .

---

(1) ابن خلدون المصدر السابق، 2991/2

(2) المصدر نفسه،2991/2

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 313

(4) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 143

(5) هـي مدينة القصر الصغير وتتوسط المسافة بين طنجة وسبتة، أنشأها الخليفة المنصور الموحدي وكان الغرض منها أن تكون محطة لعبور جيوشه إلـى الأندلس لأن الطريق إلى سبتة تخترقها الجبال وتمثل عائقاً يصعب من عبور الجيش خلاله (الحسن بـن محمد الوزان الفاسي - ليون الإفريقي - : وصـف إفريقيا ، تح: محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغـرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، 316)

(6) السلاوي: المصدر السابق،19/2

(7) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 313

أمام هـذه النجاحات التـــي حققها الأمير أبو زيان، قرر أبـو يوسف العبور بنفســه، فأرسل إلـــى قبـائل البربر والعرب يستنفرهم للجهـاد وقـــام بتجهيز جيشــه بـــالعتاد اللازم مـن سلاح وخيل، واجتمع الجميع بقصر المجـاز بغرض العبور إلـى الأندلس " فكان الناس يجوزون فوجاً بعـد فوج، وقبيلة بعـد قبيلة، وطائفـة بعـد طائفـة، فكـانت المراكب والسفن غاديات ورائحات آناء الليل وأطراف النهار من قصر المجاز إلى طريف يزدحمون فـي ذلك المعبر " (1)، ثم عبر إثرهم سلطان بني مرين وكان ذلك سنة 674هـ / 1276م (2)، لكن عند نزول بنـــي مرين إلـــى الميدان الأندلســـي واجهتهم عـــدة صعوبات كـان أهمها الخلافات الشخصية التـــي حدثت بين سلطان بنـــي الأحمر محمد الفقيه ومنافسيه بنـــي أشقيلولة هـذه الخلافات التي ستؤثر على فاعلية الأعمال الجهادية لبني مرين في الأندلس (3) .

بمجرد عبور أبي يوسف يعقوب إلـى الأندلس اتجه إلى الجزيرة الخضراء، حيث أقام معسكره وكان قد اشترط على سلطان بني الأحمر أن يتنازل له عن الجزيرة الخضراء ورندة وطريف، وعند وصول أبي يوسف إلـى الجزيرة الخضراء سارع إليه أبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقة وقدم بيعتـه، وتنافس مـــع محمد بن الأحمر علـى كسب ود السلطان" وتناغوا في برور مقدمه والإذعان له"(4)، وسارع سلطان بني مرين إلـى إقامة مجلس حرب لمناقشة مصيـر حملتـه وسيرها ، غيـــر أن الخلافات القـائمة بيـــن الفـريقين الأندلسيين المتنـافسين حالت دون الوصـــول إلى اتفاق مشترك (5)، بل أفضى الاجتمـاع إلـى حدوث جفـــوة بين

---

(1) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 145

(2) المصدر نفسه، 145، يذكر ابن أبـــي زرع فـــي الأنيس المطرب أن العبور كـان سنة 673هـ/ 1275م أما ابن خلدون فيجعله سنة 672هـ / 1274م(ابن أبـي زرع: الأنيس المطرب، 314، ابن خلدون المصدر السابق، 1560/2)

(3) الحريري : المرجع السابق، 227، كان سبب الخلاف بين ابن الأحمر وبني أشقيلولة هو خروجهم واستقلال أبـي محمد وأبي الحسن بمدينة وادي آش واستقلال الرئـــيس أبـــي محمد عبد الله بـــن أشقيلولة بمالقة وقمارش ليستقل بقمارش نفسها الرئيس أبو إسحاق، وقد نافسوا السلطان محمد الفقيه في ملك الأندلس (ابن الخطيب: اللمحة، 61)

(4) ابن خلدون المصدر السابق، 2/ 1846

(5) الحريري: المرجع السابق، 44

ابن الأحمر وأبـــي يوسف أدت إلى انصراف ابن الأحمر للمجلس مغاضباً (1)، وبهذا كـــان علـــى أبـــي يوسف أن يخوض معاركه الأولـــى بالاعتماد علـــى قواته التـــي عبرت معه من المغرب وعلى بنـــي أشقيلولة الذين أعلنوا بيعتهم له ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه(2) .

اتجه أبـو يوسف بجيوشـــه قاصداً غزو النصـارى و" لم يبال بمن سار عنه أو قعد أو تخلف " (3)، وبث أبـــو يوسف سراياه للقيام بأعمـال التخريب والإغارة إلـــى أن وصل إلى منطقة أستجة (4)، وهناك علـم بمسير جيش نصرانـــي كبير بقيادة دون نونيو دي لارا(5) واستشار أبو يوسف معاونيه وقـادة جيشـــه عما يجب فعلـــه فأشاروا بضرورة مواجهة هـذا الجيش، وبالفعل اشتبك الفريقان في معركة داميـة أسفرت عن تحقيق بني مرين نصراً ذكَّر الأندلسيين بأمجاد الزلاقة والأرك (6)، وقتل قائد جيش النصـارى وأرسل برأسـه إلـى محمد بن الأحمر الفقيه (7) .

كما قام أبو يوسف في جوازه الأول هذا بغزوة إلى إشبيلية حيث أغار علـى أحوازها وطاف حول أسوارها إلـــى أن قدم فصل الشتاء حيث تراجع إلـى الجزيرة الخضراء وعاد منها إلى فاس سنة 674هـ / 1276م (8) .

وفـي بداية سنة 676هـ / 1277م أجاز أبو يوسف جيوشه إلـى الأندلس للمرة الثانية،

---

(1) السلاوي: المصدر السابق، 20/2 ، ويذكر ابن أبي زرع أن الخلاف الذي نشب بين ابن الأحمر وبنـي أشقيلولة لم يدم حيث استطاع أبو يوسف أن يصلح بين المتخاصمين والتفرغ لأمور الجهاد عكس ما جاء به ابن خلدون الـذي يقر باستمرار الخلاف بدليل مغادرة ابن الأحمر إلى غرناطة غاضباً حتى ابن أبي زرع يشير إلـى أن ابن الأحمر غـادر مكان الاجتماع
وهو غير راض (ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 146، الأنيس المطرب، 315، ابن خلدون: المصدر السابق، 2/ 1846)

(2) الحريري: المرجع السابق، 227

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 146

(4) أستجةEcija وهـي مدينة قديمة مسورة لها عدة أبواب وهي مدينة واسعة الأرباض كثيرة البساتين وتقع جنوب قرطبة ولها جامع مبني بالصخر (الحميري : المصدر السابق، 53)

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 316

(6) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، 148-150

(7) المصدر نفسه: 150

(8) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 321-322

وقد حققت هذه الحملة كسابقتها أهدافها، حيث حاصرت الجيوش المغربية إشبيلية وشريش وقرطبة وجيان وأنزلت الدمار بأحوازها ودخلت العديد من حصونها عنوة وهو ما اضطر ملك قشتالة ألفونسو العاشر إلى عقد هدنة مع أبي يوسف وهذا بوساطة من محمد بن الأحمر وهو ما تم فعلاً، وعاد أبو يوسف بعدها إلى فاس، وما نلاحظه في هذه الحملة أن أبو يوسف قد ترك في الجزيرة الخضراء حامية مغربية تتكون من ألف فارس من بني مرين والعرب بقيادة عمر بن علي (1) كما استولى على مدينة مالقة من بني أشقيلولة وضمها إلى ممتلكات بني مرين (2).

الجواز الثالث لأبي يوسف كان هذه المرة بطلب من ملك قشتالة ألفونسو العاشر ضد ابنه الثائر عليه سانشو، فاغتنم السلطان المريني هذه الفرصة وجمع حشوده وعبر إلى الأندلس سنة 681هـ / 1283م واستطاع أن يغزو العديد من المناطق ابتداءً من قرطبة حيث حاصر سانشو ثم انتقل بعدها إلى جيان ووصل في غزوه إلى حصن مجريط (3) من أعمال طليطلة(4)، لكن ما شاب هذه الحملة هو عودة الخلاف بين أبي يوسف ومحمد الفقيه، هذا الأخير الذي حاول التحالف مع سانشو الثائر ومحاولته كذلك السيطرة على مالقة فاشتعلت الفتنة بين الفريقين ولم تنطفئ إلا بتدخل الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق لدى أبيه السلطان وتم الصلح فعلاً وحصل الوفاق بينهما (5) .

الجواز الرابع للسلطان أبي يوسف كان سنة 684هـ / 1285م وقد اتبع نفس الطرق ونفس الأساليب التي اعتمدها في جوازاته السابقة من بث السرايا للإغارة والغزو وشملت

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 323-329، مصطفى الضيف أبو عمر: المرجع السابق، 177-178
يذكر ابن خلدون أن أبو يوسف ترك حامية أخرى بمالقة وأن قائدها كان عمر بن يحيى بمساعدة زيان بن عياد بن عبد الحق وبالتالي يكون أبو يوسف قد ترك حاميتين اثنتين في حملته هذه (ابن خلدون المصدر السابق، 2851/2)

(2) ابن الخطيب: اللمحة، 61

(3) مجريط Madrid :وهي من بناء الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهي من ثغور الأندلس وبها حصن كبير وتقع قرب طليطلة (الحميري : المصدر السابق،523)

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ،337-338، السلاوي المصدر السابق، 27/2

(5) ابن خلدون المصدر السابق، 2857/2، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 338

الغارات عدة مدن خاصة مدينة إشبيلية وأحوازها كما استهدفت مدينة شريش(1)، كما شارك في هذه الغزوة ابن السلطان المريني يوسف بن يعقوب في مدد لأبيه(2)، وشارك في الحملة كذلك الأسطول المريني الذي أمَّن المدد والاتصال بين العدوتين، وأفضت الحملة كلها إلى إبرام صلح بين السلطان المريني وملك قشتالة سانشو وبمشاركة من السلطان النصري محمد الفقيه(3)، ليعود بعدها السلطان أبو يوسف إلى الجزيرة الخضراء بعد أن تفقد الحاميات المغربية حيث توفي بها سنة 685هـ / 1286م (4).

ب/نتائج وأسباب التدخل المريني في ا لأندلس:

كان للتدخل المريني في الأندلس عدة نتائج أثرت في مستقبل كلتا الدولتين ،بل على المنطقة كلها، فالمرينيون الذين جازوا إلى الأندلس تطوعاً أو ضمن حملات سلطانهم أبي يوسف يعقوب أثروا بصفة جلية في المنطقة، ولكن بدرجات متفاوتة .

فرغم الانتصارات التي أحرزها أبو يوسف على النصارى إلا أنها لم تحدث الأثر المنشود (5) فهذه المواجهة المسلحة الأولى بين بني مرين والممالك النصرانية أفضت إلى انخفاض تام في العزائم والطاقات، فأبو يوسف لم يحسِّن من وضعية الإسلام في الأندلس لكنه رغم ذلك أظهر لقشتالة وأراغون أن المغرب يستطيع أن يكون خطراً عليهم (6)، فالحملات الأربع لسلطان بني مرين أسفرت عن نتائج ضئيلة خاصة أن الأملاك التي حازها أبو يعقوب في الأندلس كانت عبئاً أكثر منها مكسباً،والحدود بين النصارى والمسلمين لم تتغير.

أبو يوسف حقيقة أعان مملكة بني الأحمر، لكن هذه الأخيرة لم تعنه، وبذلك غرق

---

(1) ابن خلدون المصدر السابق، 2857/2

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 350

(3) ابن خلدون المصدر السابق، 2860/2-2861 وقد حصل أبو يوسف من هذا الصلح على الكثير من كتب العلم التي غنمها النصارى خلال غزواتهم لمختلف قواعد الأندلس ، وقد أودعها في مدرسته التي أسسها بفاس .

(4) المصدر نفسه،2861/2

(5) عنان: المرجع السابق، 101/4

(6) DUFOURCQ Charles-Emmanuel: l'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII XIV siècles, Presse universitaires de France, paris, 1966, p196

أبـــو يوسف فـــي مشاكل الأندلس والأندلسيين(1)، فالغزوات المرينية كـانت كثيراً ما تشوبها الخلافات والنزاعـات بيـــن السلطة المرينية وبنـــي الأحمر ، فالنصريون لـم تكن لهـم محبة خاصـــة بالمغاربة ، لكـن الاستنجـاد بالمغرب كـــان الوسيلة الوحيدة للحفاظ علـــى مملكتهم وللحيلولة دون احتلال محتمل مـن قشتالة أو تبعية مطلقة لها، فبنو الأحمر أرادوا القيام بدور فـــي توازن القوى باستعمـــال أعداء المرينيين سواء كانـوا بنـــي عبد الواد أو حتـــى قشتالة نفسها (2)، فكثيراً ما ترددت لدى محمد الفقيه صورة مـــا حدث للمعتمد بن عباد ملك إشبيلية فـــي عهد الطوائف مـــع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين(3) ، لكـن رغم هـذا كثيراً ما ساد الوفاق بين الطرفيـن ودخلوا معاً فـــي معـــارك ومعـــاهدات صلـــح مـع النصارى(4)، بالنظر إلى كل ما سبق وفـي العموم حقق المرينيون بعض أهدافهم حيث ثبتوا أقدامهم في عدة قواعد أندلسية، هي رندة وطريف والجزيرة الخضراء وأسسوا قاعدة جديدة هي البنية، كما أطـــاح هذا العبور بأحلام نصارى الأندلس فـــي القضاء علـــى ما تبقـى من أملاك المسلمين، حيـث اصطدموا بقـوة جديدة اقتحمت عليهـم ميـادين القتال والتـــي كانوا يظنون أنهم متفوقين فيها وأثبت بنو مرين أنهم فاعل رئيسي ومؤثر في أحداث المنطقة(5) .

الروايات التاريخية التـــي تفصّل لنا العبور المتكرر للجيوش المرينية إلـــى الأندلس بغرض الجهاد لإنقـاذ الأندلس مـــن الخطر النصرانـــي الـذي يهددها ، وأن الصراع اكتسب صفة الحروب الصليبية، كل هـذا صحيح ولحـــد بعيد ، لكـــن يضاف لهذا البـــاعث المعنوي والديني عوامل مادية وسياسية، فمملكة غرناطة كانت تمثل الحاجز الأخير فـــي وجه إسبانيا النصرانية لذا فعلى بنـــي مرين أن يدعّموا هذا الحاجز بكل قوتهم خاصة وأن مملكة غرناطة نفسها تطلب هذا العون(6) وتجلت هـــذه الرؤيـــة خاصـــة بعـــد محاولة النصـــارى الاستيلاء

---

(1) TERRASSE Henri : histoire du Maroc, édition atlantides, Casablanca, 1950,2/38

(2) Ibid, 2/33 - 34

(3) ابن خلدون المصدر السابق، 2851/2

(4) الحريري: المرجع السابق، 228

(5) المرجع نفسه،46

(6) محمد عبد الله عنان: موقف القسطنطينية وباقـي العالم الإسلامـــي من سقوط الأندلس وآخـر مسلميها وأمـــام الغـــزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموماً، مجلة الأصالة،الجزائر،1975، العدد 27، 104 - 105

علــى مدينة سلا(1)، فالنصارى خـاصـة مع تفويض البابا لملك قشتالة لشن حــرب صليبية وقيام هذا الأخير بإنشاء أسطول بحري، والعمل علــى الاستيلاء علــى موانئ أندلسية وحتى مغربية، هذا لــم يكن ليمر دون رد فعل مغربي يعمل للحفاظ علــى الطريق التقليدي للجهاد، وهــذا رغم أن حملات النصارى البحرية كــان هدفها الأساسي النهب والبحث عــن الغنــائم وتأمين الشواطئ(2).

إن دولة بنــي مرين التــي هــي عبارة عن قوة زناتية بدوية عامرة بأسباب الضعف والاضطراب والتــي أسست نتيجــة تحالف قبــائل تجمعت معــاً وبايعت ملكاً حتــى تتخلص مــن سلطــان الموحدين المصامدة (3) أصحــاب هذه الدولة لــم يكونوا مصلحيــن دينييــن أو منحدرين من أصل شريف، كان عليهم إذن البحث عن شرعية لملكهم ولم يكن ذلك متوفراً إلا بالجهــاد(4)، فالجهــاد والغزو اللذان كانــا متاحين فــي الأندلس أستعملا لحصد الشرعية المفقودة وأصبحت محاولات عكس الهجمات النصرانية والتصدي لها هــو المشروع الدينــي المرينــي الرئيســي(5)، خاصة أن ذلك تقاطع مع رغبة أبــي يوسف فــي تحقيق حلمه القديم في جهاد النصارى بالأندلس،فالجهاد كان يضفي على الدول المغربية الشرعية التي تنقصها، فكل هذه الدول قفزت إلى السلطة واغتصبت الحكم بالقوة، دون أن تكون لها مشروعية سوى السيف والغلبة فهــي فــي واقع الأمــر ليست شرعيــة، فالتسليم لهــا هــو تسليم بــالقهر،

---

(1) تعــود هـذه الأحداث إلــى شـوال سنة 658هـ / جويلية 1260م ، وكــانت المدينة تحــت ولاية يعقوب بــن عبد الله بن عبد الحق الذي حـاول الاستقلال بالمدينة علــى سلطة عمه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ،واستعان فـي ذلك بمعونات التجار القشتاليين الذين أصبحوا يترددون علــى ميناء المدينة بكثرة ، واستغلوا اشتغـال أهل المدينة بعيد الفطر فدخلوا إليها غدراً وقتلــوا الرجــال وسبوا النســاء واستبــاحوا الأموال وهرب واليهــا يعقوب بن عبد الله إلــى رباط الفتح، فبلغ ذلك السلطان أبو يوسف وبــادر إلـى المدينة وضيَّق عليها واستطاع أن يسترجعها ويطــرد النصارى منها وكان ذلك بعد أربعة وعشرين يوما من دخولهم إياها وكــان ذلك نذيراً بخطر النصارى علــى سواحل المغرب (ابن خلدون المصدر السابق، 2834/2 ،ابن عذارى: المصدر السابق،418، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ،301، الذخيرة السنية، 93)

(2) TERRASSE : histoire du Maroc Op cit, 2/92

(3) مؤنس حسين: المرجع السابق، 38/3

(4) DUFOURCQ : Op Cit, p193, TERRASSE : histoire du Maroc Op cit, 2/33

(5) DUFOURCQ : Op Cit, p193

هذا الاعتماد على الغصب والغلب وحده، يفتح الباب واسعاً على الثائرين والمنافسين باعتبار السلطة التي يحاربونها هي سلطة غير شرعية، لكن إذا شاركت هذه الدولة في الجهاد والدفاع عن أراضي المسلمين فهي ستكتسب الشرعية من تلقاء نفسها فلذلك نلاحظ أن سلاطين بني مرين وحتى بني الأحمر يحرصون على حمل لقب المجاهد المثاغر(1) والملاحظ أن بني مرين عندما قرروا التدخل في الأندلس لم يكن هدفهم السيطرة والحكم المباشر بل توقف التدخل عند الإنجاد والرغبة الواضحة في الجهاد(2) .

ما سبق لا ينفي الاستفادة المادية للقوات المرينية خاصة من الغنائم الكبيرة التي زادت في ثروة الدولة وقوة الجيش(3)، كما هدف سلطان بني مرين أبو يوسف في حروبه تلك إلى توجيه طاقات القبائل العربية التي كانت تنتهج سياسة الإفساد وقطع الطرق إلى الجهاد دفاعاً عن الإسلام، فحشود المرينيين كانت تضم أعداداً معتبرة من مختلف القبائل العربية(4) وهو نفس النهج الذي أتبع بالنسبة لأفراد قبائل بني مرين الثائرين والطامعين في الملك.

لكن رغم الجهود التي قام بها بنو مرين في جهادهم إلاّ أن النتائج لم تكن كتلك التي حققها المرابطون والموحدون قبلهم، يعود ذلك في الأرجح إلى أن بني مرين لم يقاتلوا إلاّ بإمكانيات المغرب الأقصى وحده عكس سابقيهم الذين كانوا يقاتلون بإمكانيات المغرب كله، كما أثرت المنافسة بين بني مرين وجيرانهم بني عبد الواد على ميدان الجهاد واستنزفت الكثير من الجهد والوقت(5) .

لكن لا يجب أن ننسى أن تدخل بني مرين في الأندلس قد أكد مدى حرص أهل المغرب على إمداد أهل الأندلس برغم ما يعانيه المغرب نفسه من ضعف وفرقة .

---

(1) مؤنس حسين: المرجع السابق، 24/3

(2) عنان: موقف القسطنطينية، 130

(3) ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، 316

(4) الحريري: المرجع السابق، 44

(5) الغنيمي: المرجع السابق،242/3

المبحث الثالث: ضغط الممالك النصرانية

أولاً تبلور الممالك النصرانية:

ساد ولوقت طويل صراع أسري مرير بين مختلف الممالك النصرانية حول السيادة والعرش، وكانت تشعر هذه الممالك بأن هذا التقسيم الجغرافي يضعف من قواها، ولا يلائم مصالحها، وكانت قشتالة وجارتها أراغون هما أقوى هذه الممالك وأكبرها رقعة، وكلتا المملكتين تطمع في التوسع على حساب الممالك الصغرى ومحاولة ضم أراضيها، فقامت أراغون بعد اتحادها مع مملكة قطلونيا بضم أراضي مملكة نافار لها، وقامت قشتالة بضم جارتها ليون وانتزاع ما بقي من ولايات مملكة نافار وهي الولايات الخاصة بالبشكنس(1) .

تولى فرناندو الثالث عرش قشتالة وليون وجليقية سنة 627هـ / 1230م، واندمجت في مملكة واحدة وأصبحت قشتالة بهذا الاتحاد أقوى الممالك الإسبانية وأوسعها رقعة وأغناها مواردا ً (2)، وكانت تظهر كأكبر قوة إسبانية يحمل ملوكها لقب إمبراطور ويتم صياغة كل القرارات العسكرية الهامة فوق أراضيها(3)، ولعل من حظ قشتالة أن يصل إلى عرشها ملك مثل فرناندو، الذي خلف أباه على عرش المملكة واستغل فرصة الفوضى التي عمت أرجاء الأندلس عقب سقوط الموحدين ووحد مملكته وسيحقق في هذه المرحلة أكبر النتائج وأخطرها في حروب الاسترداد النصرانية (4).

أما في أراغون فقد وصل إلى العرش ملك فتى كان له دور كبير في توسيع هذه المملكة وتقويتها وهو خايمي الأول، الذي كان يفيض حماسة لإعلاء شأن مملكته ومزاحمة غيرها من الممالك .

و بهذا تبلورت أوائل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، ثلاث ممالك نصرانية هي قشتالة، أراغون و البرتغال، هذه الأخيرة كان هدفها التوسع في غرب الأندلس أما قشتالة وأراغون فكانتا تعملان معاً للمضي لتحقيق الغاية القومية والدينية الكبرى

---

(1) GUICHARD : Op Cit, p86

(2) عنان: دولة الإسلام، 88/4

(3) TERRASSE : Islam d'Espagne, Op Cit, p174

(4) PIQUE Victor : l'Espagne des maures, édition de Boccard éditeur, paris, 1945, p 203-204

والتـــي كانت تهدف لها إسبانيا النصرانية منـذ قرون وهـــي القضاء علـــى الدولة الإسلامية فـــي الأندلس(1) .

لكن الهدف لـم يكن ليتحقق لـو بقيت العلاقة بين هـــذه الممالك تحكمها المصالح الآنية والأفق الضيق، لذا كان يجب عقد اتفاقيات تحدد مناطق نفوذ وتوسع كل مملكة وهـو ما تـم فعلاً، والتزمت كل مملكة بهذه الاتفاقيات بـل قـامت بتنسيق جهودها، وبهذا أتيحت فرصة كبيرة لإسبانيا النصرانية لتحقيق أهدافها وإعلان حرب إستردادية على مدى واسع(1) .

ثانياً تقدم حروب الاسترداد:

تقدمت حروب الاسترداد النصرانية فـــي جبهات ثـــلاث: الجبهـة الأولـــى قادها ملوك البرتغال في الغرب، والجبهة الثانية قادها ملوك قشتالة فـي جهة الوادي الكبير، والثالثة قادها ملوك أراغون فـــي الشرق،ورغم الخلافـات التـــي سادت العلاقات بين هذه الممالك إلا أنها توحدت في حربها ضد المسلمين(2)

عرفت أراغون خلافات داخليـــة حـادة حـول العرش واستطـــاع الملك خايمـــي الأول أن يهزم كل منافسيه ويجلس علـــى عرش المملكة، ليقرر بعدها النزول إلـى الميدان والفوز بحصته من أراضـــي المسلمين والتـــي كـانت تشمل المناطق الشرقية مـن الأندلس(3)، فبدأ بالجزائر الشرقية التـــي سقطت فـي يده تباعاً رغـم الدفاع المستميت لأهلهـا وكـانت آخرها سقوطاً جزيرة منورقة(4) .

وبروحه الصليبيـة الواضحـــة، وبتشجيع مـن بابا روما تقـدم خايمي الأول واستولـــى علـــى طرطوشة سنة 622هـ / 1225م ثم رمـى بنظره إلى قاعدة شرق الأندلس بلنسية، هذه المدينـــة التـــي كانت تعيش فترة مـــن الفوضـــى والاضطراب وحالـة مـن النزاع الشديـد بين سادتهـا، واليها الموحدي السيد أبـو زيد والثائر عليـه أبـو جميل زيان بن مردنيش وسيد الأندلس الجديـــد محمد بن يوسف بـن هود، هـذا الشقاق شجـع ملك أراغون علـــى التفكيـر

---

(1)عنان: دولة الإسلام، 88/4

(2) ابن الأبار: المصدر السابق،25/1

(3) TERRASSE : Islam d'Espagne, Op Cit, p174, Guichard Op Cit, p195

(4) عنان: دولة الإسلام، 91/4

(5) المرجع نفسه،91/4

في الاستيلاء على بلنسية(1) فقام بالسيطرة على الحصون المجاورة لها مثل حصن منكادة وأرش وغيرهما وبدأ حصاره لبلنسية نفسها سنة 633هـ / 1235م وقد استعان في حصاره هذا بفرسان من قطلونية وجنوب فرنسا ونافار وقشتالة وبعد حصار طويل استسلمت المدينة في 17 صفر 636هـ / 30 سبتمبر 1238م بعد الاتفاق مع صاحبها أبو جميل زيان بخروجه إلى دانية رفقة ألوف من المسلمين، وبهذا النصر ارتفع صيت خايمي الأول وتسمى بالفاتحEL CONQUISTADOR وعُدَّ من كبار ملوك إسبانيا(2) وتم الاتفاق مع قشتالة أن تصبح كل هذه الأراضي تابعة لمملكة أراغون والتي تحولت نتيجة توسعاتها خارج إسبانيا إلى قوة متوسطية(3) .

لم يكتف خايمي الأول بإنجازه هذا، بل راح يكمل مشروعه في اجتياح كامل شرق الأندلس و" طوى ما بين ذلك من الحصون والقرى "(4) فاستولى على دانية ولقنت سنة 641هـ / 1243م واستولى بعدها على شاطبة وأريولة سنة 644هـ / 1246م وقام بتهجير سكانها(5) و يخبر ابن الأبار عن بعض أهل شاطبة أن خايمي" أجلاهم عنها مع أهل جهاتها وهم ألوف من المسلمين تفرقوا في البلاد "(6) .

بهذا سيطرت مملكة أراغون على كامل شرق الأندلس، وضمتها إلى أملاكها، هذه السيطرة لم تكن كاملة بل شابتها العديد من الثورات والقلاقل ولا أدل على ذلك الثورة التي اندلعت في بلنسية إثر نزول القوات المرينية إلى الأندلس بتشجيع من المملكة النصرية، ورغم أن الملك خايمي استطاع أن يخمد هذه الثورة بعد جهد كبير، إلاَّ أنه لم يستطع أن يقمع الروح الثورية التي انتشرت في كامل المنطقة(7) .

أما قشتالة التي حققت وحدتها وزادت من قوتها فقد رأت في تنازع زعماء الأندلس

---

(1) ابن الأبار: المصدر السابق، 304/2

(2) ابن الأبار: المصدر السابق، 304/2

(3) ابن خلدون المصدر السابق، 1559/1

(4) TERRASSE : Islam d'Espagne, Op Cit p 74

(5) عنان: دولة الإسلام، 92/4

(6) ابن الأبار: المصدر السابق،303/2

(7) DUFOURCQ : Op Cit, p 195

وتفـرقهم فرصـــة لا تعوض فبـدأها ملكها فرناندو الثـــالث (1) بغـــزو أراضـــي المسلمين وانتزاعها(2)،فبدأ بالاستيلاء علـــى الثغور الأندلسية كبياسة وأبدة وغيرها، ورغم عقد الصلح مع ابن هود إلاَّ أن الجماعات الدينية وجماعات الفرسان التابعين له (3) استمروا في الاستيلاء على الحصون خاصة تلك المجاورة لجيان كل ذلك كان لغاية أخطروأبعد مدى كان يضمرها ويعمل من أجلها ملـك قشتالة لم يكن كـل ذلك سوى التمهيد لضربـــة مؤلمة يريـــد تسديدها للأندلس وهـــي استيلاؤه علـــى قرطبة (2)، حيث قـرر فرناندو الثالث سنة 633هـ / 1235م التقدم بجيوشه وبالحشود التـــي وفدت عليـــه من كل الجهات وحاصر المدينـــة وضيـق عليها حتـــى استسلمت (3) وهـــذا رغم مقـاومتها الشديدة وتلكأ ابن هود فـــي نجدتها وبهذا سقطت قرطبة في شوال 633هـ / جوان 1236م.

ثـــم وجه فرناندو قواته بقيـادة ابنه ألفونسو إلـــى مرسية فدخلها صلحاً ثم تحرك نحـو غرناطة وحاصرها واضطـر ابن الأحمر أن ينضوي تحت حكم ملك قشتالة ثم توجه بأنظاره هذه المرة إلى حاضرة الأندلس إشبيلية(4) .

حيث بدأ حصـــاره لها فـــي جمادى الأولـــى سنـــة 645هـ / 1247م، وضيـق عليها وضرب أسوارها بالمنجنيق ومـــات أهلـــها جوعـــاً وبعـــد مقـــاومة شديـدة دامـت عـاماً وخمســـة أشهر اضطر أهلهـــا إلـــى تسليـم المدينة(5) وتـــم إجلاؤهم منها مـــع أموالهـــم ومتاعهم وخلت المدينة من أهلها وأصبحت إشبيلية العاصمة الجديدة لمملكة قشتالة(6) .

(1) لقب هذا الملك فيما بعد بـ : sanFernandoوهو اللقب الذي أسبغه عليه بابا روما كليمنت العاشر سنة 1671م (العبادي: صور، المرجع السابق،228)

(2) عنان: دولة الإسلام، 88/4

(3) من بين هذه الجماعات فرسان القديس خوان أو فرسان القنطرة الذين شاركوا في حصار إشبيلية، وكذلك فرسان قلعـــة رباح ، الذين كانوا من المشاركين في حصار جيان وحتى بلنسية، وجماعة فرسان القديس شانت ياقب القادمين من البرتغال وكانوا مرافقين دائمين لفرناندو الثالث (البشري سعد بن عبد الله: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبهم مع المسلمين، مجلة جامعة أم القرى، عدد7 ،1992- 1993، 199-212)

(3) عنان: دولة الإسلام، 417/3

(3) ابن عذارى: المصدر السابق، 331

(4) عنان: دولة الإسلام ، 88/4

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، 380

(6) الحميري : المصدر السابق، 60

ومن المفارقـات أن فرناندو الثـالث أجبر حليفـه المسكين محمد بن الأحمر علـى ضرورة التنسيق والمشاركة في حصار إشبيلية وهو ما حدث فعلاً(1).

هـذا الانجاز جعل فرناندو الثالث يمـد بصره إلـى ما وراء الأندلس كلها حيث أرسل أسطوله وقواته إلـى سواحل المغرب الأقصى حتـى يظهر قوته الصليبية لكل المسلمين، لكن وفاتـه سرَّعت بانطفاء الـروح الصليبيـة الأكبر فـي إسبانيا وانجلت بـذلك أزهـى فترات حروب الاسترداد(2) .

أراد خلفه ألفونسو العاشر الملقب بالعالم، أن يكمل مـا قام بـه والده، لكنه لـم يستطع، حيث وبكثير مـن الجهد حاول الحفاظ على مكتسبات والده ضد المسلمين، خاصة مـع وصول القوات المرينية ونزولها إلـى الميدان الأندلسـي بالإضافة إلـى أن نهايـة حكمه كانت مليئة بالمنافسة بينه وبين ورثته(3) .

لقد كـانت الفترة التـي أعقبت سقوط الموحدين فـي الأندلس أزهى فترات حروب الاسترداد الإسبانية، لقد استطاعت هـذه الكيانات النصرانية القوية والمنظمة وشبـه الوطنية أن تتقدم وبكل ثقـة فـي مواجهة كيانات إسلامية تفتقر إلـى التنسيق والقوة العسكرية الحقيقية، وأن تضم أهم قواعد الأندلس فـي فترة قصيـرة وأن تدفع بما تبقـى مـن مسلمـي الأندلس

إلـى أقصـى الجنوب، فـي كيان ضيق مليء بالتناقضات هو مملكة غرناطة(4)، وحتـى هذه

المملكة لم تهنأ بفترات سلم حقيقية، بـل عانت طوال تاريخها مـن ضغوط متواصلة مـن هذه

---

(1) PIQUE : Op Cit, p205

(2) ATKINSON william: histoire d'Espagne et du Portugal, petite bibliothèque Payot, paris, 1965, p90

(3) DESCOLA jean : histoire d'Espagne chrétienne, robert LAFONT, paris, 1951, p139-140

(4) GUICHARD: Op Cit, p195-196

الممالك إلى غاية سقوطها، ويجب أن ننبه أن هذا التفوق الإسباني لم يكن ليتم دون المســاعدة الخارجية والتي اتسمت في أغلب الأحيان بالروح الصليبية الواضحة(1) .

FLICHE augustine: histoire de moyen age, les presses universitaires de France, paris, 1930(1) 2/549

الفصل الثاني:

خطة مشيخة الغزاة: نشأتها، تنظيماتها، مآلها

المبحث الأول: نشأة مشيخة الغزاة وأهدافها

أولاً تعريف ونشأة مشيخة الغزاة

ثانياً دواعي إنشاء مشيخة الغزاة

المبحث الثاني: تنظيمات خطة مشيخة الغزاة

أولاً القيادة

ثانياً العناصر

ثالثاً هيكلة الخطة وعتادها

المبحث الثالث: أعمال الخطة ونهايتها

أولاً أعمال الخطة

ثانياً نهاية الخطة

الفصل الثاني: خطة مشيخة الغزاة: نشأتها، تنظيماتها، مآلها

المبحث الأول: نشأة مشيخة الغزاة وأهدافها

أولاً تعريف ونشأة مشيخة الغزاة

لقد كانت الأندلس بالنسبة لأهل المغرب ثغراً " فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم "(1)، وكان الكثير منهم يريد التطوع ويرغب في اللحاق بالجانب الآخر من المضيق ولو مرة واحدة في حياته لأداء واجبه الديني المتمثل في الجهاد، هذا الهدف كان يدفع بالعديد من شباب المغرب إلى الالتحاق بالجيش السائر لجهاد النصارى وكان هؤلاء يدعون بأهل الرباط أو المتطوعة(2).

هذه العناصر المغربية دخلت إلى الأندلس منذ الفتح باعتبار أن الجيش الذي فتح الأندلس كان جله من البربر واستمر توافد الأجناد البربرية القادمة من المغرب لتغذية الكيانات السياسية الأندلسية، خاصة في عهد الدولة الأموية حيث جند المنصور بن أبي عامر محاربين من زناتة وصنهاجة خلال حملاته ضد نصارى الأندلس، ثم تزايد دخول هذه العناصر في ظل حكم المرابطين والموحدين عندما كانت الأندلس ولاية من ولايات الدولتين المغربيتين الكبيرتين(3) .

بعد انهيار الحكم الموحدي تخلفت جموع كثيرة من هؤلاء المتطوعة، وكانوا يؤثرون الحياة العسكرية عن الحياة المدنية نظراً لطبيعتهم البدوية الخشنة لذا استمروا في نشاطهم الرئيسي وهو الجهاد حسب ما يراه الأستاذ عنان(4)، لكن لا يجب أن نهمل عامل حبهم للجهاد والاستشهاد .

كانت فترة ما بعد الموحدين تموج بالاضطرابات والأحداث الخطيرة خاصة مع نشأة دولة بني الأحمر هذه المملكة المعزولة والصغيرة والتي يحيط بها البحر والأعداء، لكنها صمدت

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 2/2843-2844

(2) LEVI-PROVENCAL : histoire de l'Espagne musulmane, édition G .P. Maisonneuve, paris, 1953,3/78 – 79

(3) مكي محمود علي: التراث المشترك الأندلسي المغربي في ميدان التصوف، ضمن التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1993، 155

(4) عنان: دولة الإسلام، 4/443

واستمرت رغم كل الأخطار الداخلية والخارجية، ولم يكن ليكتب لها البقاء دون جيش قوي ومنظم، هذا الجيش كان قوامه المتطوعين، الذين حملوا السلاح بدافع الجهاد وأظهروا بسالة نادرة واستعداداً كبيراً للاستشهاد، وكانت جموع المتطوعين هذه تأتي من عدة مناطق من الأندلس ومن وراء المضيق(1).

تزايد عدد المتطوعين القادمين من المغرب مع إنشاء دولة بني مرين، هذه الدولة التي عرفت في بداياتها نزاعاً بين قسميها الرئيسيين بني عسكر وبني حمامة للفوز بالسيادة، ورغم استئثار بني حمامة بالسلطة إلاّ أن بني عسكر حافظوا على جانب كبير من القوة داخل الدولة لذا كان إبعادهم حلاً للحفاظ على السلطة، وكانت الأندلس هي المكان المناسب لذلك والجهاد هو حجة هذا الإبعاد(2).

وقد أثبت هؤلاء الزناتيون فعاليتهم في ميادين القتال حيث كانوا " أسوداً ضارية، وسيوفاً ماضية، معودين لقاء الأبطال وقراع الحتوف والنزال [...] فعظمت نكايتهم في العدو واعترضوا شجى في صدره دون الوطن الذي كان طعمة له في ظنه، وارتدوا على عقبه، ونشَّطوا من همم المسلمين المستضعفين من وراء البحر"(3).

بهذا أمام الخلافات التي حدثت بين أبناء عبد الحق وغيرهم من فروع بني مرين وخوفهم من بطش السلطان بهم، آثر العديد منهم اللحاق بالأندلس بدعوى المساهمة في الجهاد، وكان البعض الآخر يقوم السلطان- إذا أحس بريبة منهم أو إذا انتفضوا عليه- بإرسالهم إلى الأندلس، وأمام ازدياد أعدادهم عند ابن الأحمر، قام هذا الأخير بتولية بعضهم قادة على الغزاة المجاهدين من زناتة لقتال النصارى وكان أول من تولى هذه المهمة من بني مرين موسى بن رحو بن عبد الحق(4) سنة 670هـ / 1272م(5).

لم يكن هذا المنصب مختصاً بشخص بعينه بل تعدد أصحابه، فبعد عودة موسى

(1) فرحات يوسف شكري:المرجع السابق، 84

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، 1560/1، مؤنس حسين: المرجع السابق، 28/3

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 2839/2

(4)هو موسى بن رحو بن عبد الحق كان من بين الثائرين على أبي يوسف عندما عهد إلى ابنه عبد الواحد ، وقد اعتصموا بالجبال ،وقام أبو يوسف بحصارهم وحاول القضاء عليهم لكن آل الأمر في النهاية إلى الصلح والعفو على أن يرتحلوا إلى تلمسان ومنها إلى الأندلس(ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ،308-309،ابن الخطيب:الإحاطة ،315/4)

(5) ابن خلدون:المصدر السابق، 2991/2 – 2992 ، ويذكر ابن خلدون أيضاً أن التولية تمت سنة 673هـ/1275م

بن رحو إلى المغرب عاد المنصب إلـى أخيه عبد الحق، ثــم رجع المنصب لموسى بن رحو ثانية، ليتم تناول هذا المنصب بين بنــي عبد الحق وأبنــاء عمومتهم كعلــي بن عيـاد وتاشفين بن معطي الذي تولى المنصب سنة 679هـ / 1281م(1).

بهــذا تكونت نواة ثانيــة لجيش ابن الأحمر الذي استغل دفعــات الزناتيين القــادمين من المغرب و أعطاهم قـيادة المجاهدين بدلاً مـن الخارجين عليه من بني أشقيلولة (2)، وقـد أثبت هــؤلاء القــادة والعنــاصـر جدارتهم وفعاليتهم فــي الأعمــال الجهادية ضد النصارى فــي كثير من المناسبات(3) .

إثر قيام أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بحملاته وجوازه إلى الأندلس خاصة في الجواز الثالث حدث نوع من التقارب بين أبي يوسف ومحمد الفقيه ابن الأحمر وهـذا بعـد الخلافات الكبيـرة التــي شابت الحملات السابقة للجيوش المرينية، هــذا التقــارب ازداد فــي الجواز الرابع حيث تمكن الحليفان مــن دفع النصارى إلــى ما وراء الوادي الكبير، وعقد صلح بين هـذه الممالك الإسلامية والنصرانية، جـو التفاهم هذا الذي ساد بين أبي يوسف ومحمد الفقيه دفع هـذا الأخير إلى إسناد قيادة الغزاة والمجاهديــن المتطوعيــن مــن المغاربة إلــى قرابة السلطان المرينــي المتمثل في موسى بن رحو بن عبد الحق الذي سبق أن تولى هـذا المنصب مـن قبل، لكـن هذه المرة أصبح بصفة رسمية أول شيخ للغزاة(4) وهو منصب جديد في خطة جديدة من الخطط الغرناطية(5) .

بهذا تم الاتفاق علــى أن تكــون "مشيخة الغزاة لواحد مـن أقارب بني مرين سلاطين المغرب"(6)، وتكونت واحدة من الخطط الغرناطية "وهــي ما هــي من سمو الهضبة وورود الرزق واتساع القطاع "(7).

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 2992/2

(2) فرحات يوسف شكري:المرجع السابق، 29، 87

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 2/ 2992، منهــا النصــر الــذي أحــرزه تاشفين بن معطــي علــى القشتاليين سنــة 672هـ / 1274م (فرحات يوسف شكري:المرجع السابق،88)

(4) الحريري: المرجع السابق، 228

(5)عنان: دولة الإسلام، 4/ 106

(6) المقري: المصدر السابق، 452/1

(7) ابن الخطيب: الإحاطة ،60/4

لكن هذا المنصب سيختص به فرع من بنـي مرين وهم بنو أبـي العلاء حيث سيستقر المنصب عندهم لمدة طويلة وسيكون لهم أثر بالغ في رفع مكانته عند بني الأحمر(1) .

ثانياً دواعي إنشاء مشيخة الغزاة:

لقـد كـان إنشـاء خطة مشيخة الغزاة يخدم عدة أغراض لبنـي مرين وبنـي الأحمر علـى السواء،ولعل أهمها بالنسبة لبنـي مرين هـو إبعاد المنافسين علـى العرش المرينـي من أسرة أبـي يوسف يعقوب بـن عبد الحق، واستمر الحـال فيمن جـاء بعده من سلاطين بنـي مرين، فمن يريد السلطان المريني أن يبعده أو من يخشـى بأسه فإنه يقوم بإبعاده نحـو الأندلس برسم الجهـاد، وطبعـاً استقبل ابـن الأحمر أعداداً كبيرة منهم جعـل قيادة الغزاة المجاهدين بيدهم(2)، وقد كانت أهم وأكبر دفعة مـن المبعدين حلت بالأندلس جـاءت عقب الخلاف الذي نشب بين أبناء عبد الحق ومـا جرَّ ذلك مـن العداوة والنفور بين مختلف القبائل المرينية ففر العديد منهم إلـى تلمسان ومنها إلـى الأندلس، حيث جند الكثير منهم في أعمال الجهاد"فبدت فيهم الشياخة، وصحبهم التقديم، وأقامت فيهم الخطة وترددت بينهم الولاية"(3).

من الدواعي الأساسية التي أنشئت مـن أجلها مشيخة الغزاة هو خبرة عناصرها وقادتهم وقوتهم وبـأسهم حيـث أثبتوا فعاليتهم فـي محاربـة النصارى (4) وكـانوا " أسوداً ضارية، وسيوفـاً ماضيـة معـودين لقـاء الأبطـال وقراع الحتوف والنزال، مستغلظين بخشونـة البداوة وصرامة الغزو وبسـالة التوحش، فعظمت نكايتهم فـي العدو [...] فنشَّطوا مـن همم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم " (5) .

أنشئت مشيخة الغـزاة مـن المبعدين والمتطوعين المغـاربة كوسيلة لإبعاد بنـي أشقيلولة الذين كانت لهم مهمة قيادة الجيش الأندلسي والمجاهدين، وأمـام الخلافات التـي حدثت بينهم وبين سلطان بنـي الأحمر ومحاولتهم الاستقلال بمدنهم بعـد إخلاف محمد بن الأحمر لوعده

---

(1) مؤنس حسين: المرجع السابق، 27/3، الحريري: المرجع السابق، 228

(2) الطوخي: المرجع السابق،224

(3) ابن الخطيب: الإحاطة ،315/4

(4) ابن الخطيب: كناسة الدكان، 21

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 2839/2

بمقاسمتهم الملك(1)، هـذا الخلاف دفـع بمحمد الفقيه إلى إبعاد بني أشقيلولة عن هذا المنصب وإسناده إلـى واحد من أقارب سلاطين بني مرين(2) بل واستعان بهم في محاربة بني أشقيلولة ومجابهتهم(3).

من بين دواعـــي إنشاء هـذه الخطة عنـــد بنـي الأحمر، محاولـتهم التقرب مـن بلاط بني مرين وتوثيـق الروابـط العسكريـــة بين الأندلس والمغرب واستثمار الوفـاق الذي حدث بين الدولتين إثر حملات السلطان أبو يوسف في الأندلس(4).

إذن خدم إنشاء الخطة كلتا الدولتين، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، كما خدم العناصر المكونة لهذه الخطة والتـــي سيكون لها تأثير كبير على مجرى الأحداث التي شهدها المغرب والأندلس.

المبحث الثاني: تنظيمات خطة مشيخة الغزاة

أولاً القيادة:

كان علـــى رأس هذه الخطة قائد عسكري يعرف بشيخ الغزاة، وقد تمتع شيوخ الغزاة هؤلاء بمكانة مرموقة، ونالوا كثيراً من الحظوة لدى سلاطين بنـــي الأحمر، وصاروا من أهم الوجوه الغرناطية(5) باعتبـــار أنهم مـــن قادة الجيوش فـــي مملكة غرناطة ويحتلـون منصباً من أرفع مناصب الدولـــة نظراً لمواجهة هذه المملكة خطـــر الإغارة عليها فـــي كل وقت(6) تصدى شيوخ الغزاة لهـــذه المهمة المتمثلة فـــي رد هجمـــات الممـــالك النصرانية وأثبتـوا وفـي أكثر من مـــرة أحقيتهم بهذه المكانة لأنهم أظهروا شجاعة وروحاً قتالية عالية وألحقوا

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبـــل الإحتلام مـــن ملوك الإسلام، تح:ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط1، 2004، 287

(2) فرحات يوسف شكري:المرجع السابق، 29

(3) المرجع نفسه،87

(4) ابن الخطيب: كناسة الدكان ، 21

(5) الطوخي: المرجع السابق،225

(6) عنان: دولة الإسلام ، 443/4، وقـد كانت قيـــادة الجيوش الأندلسية بالإضافة إلـــى شيوخ الغزاة المرينيين يتقلدها قادة أندلسيون عرفوا بالنجدة والحزم مثل بكرون بن أبي بكر الحضرمي الذي أسندت له قيادة الجيش فـــي عهـــد محمد الفقيـــه (ابن الخطيب: الإحاطة ،246/1)

بالقشتاليين عدة هزائم وساهموا فـي بقاء بنـي الأحمر فـي الأندلس إلـى حين (1)، وكـان من مظـاهر عظـم المرتبة لشيخ الغزاة أنـه كـان يحضر مـع السلطـان مختلف المـراسيم السلطانيـة وتظاهرات الدولـة الرسميـة حيث كان يشهـد " مجلس العرض، وملتقى الرسـل الواردة وإجلة قداح المشورة "(2)، أي أنه كان يشارك في عروض الجيش واستقبـال السفراء وهو بمثابة عضو من أعضاء حكومة مملكة غرناطة.

أحياناً كانت تتسبب هـذه المكانـة والحظوة عنـد السلطان النصري بمشاكـل وأزمات داخل الدولة وحتى علـى الصعيد الخارجي،فكثيراً ما سبب شيوخ الغزاة خلافات حادة داخـل الدولة أدت إلى فتن وصراعات وتسببوا أيضاً فـي أزمات خارجية خاصة مـع دولـة بنـي مرين(3)، حتـى أنهم أقاموا علاقات خاصة بهم مـع ملوك النصارى بالأخص مـع مملكـة أراغون بل أنهم أرادوا التنقل والإقامة بها وهذا لخلافاتهم مع السلطان النصري(4).

في العادة يقوم السلطان النصري نفسه بتعيين شيخ الغزاة " كان ابن الأحمر كثيراً ما يعقد لهم علـى الغزاة المجاهدين مـن زناتة لدار الحرب "(5)، وهـو ما درج عليه بنو الأحمر لمدة طويلة لكن هـذا لم يستمر حيث تتدخل أحياناً عناصر أخرى فـي تعيين شيوخ الغزاة وعـزل آخرين من مناصبهم مـن هذه العناصر الوزراء، الذين كثيراً مـا كانت لهم يد في هذه العملية ولعل أهمهم في ذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب،الذي كان له دور بارز في تعيين الوجوه التي مرت علـى هذا المنصب من ذلك ما حدث مع شيخ الغزاة الأمير المرينـي عبد الرحمن بن أبي يفلوسن " الذي اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وحمل السلطان أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الأعياص"(6).

وكان لابن الخطيب أيضاً دور في عـزل شيخ الغزاة هذا من منصبه حيث استعمل هذا

---

(1) DHINA : Op Cit, p189

(2) ابن الخطيب: اللمحة، 115

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 2992/2

(4) العزاوي أحمد: الغرب الإسلامي في القرنين السادس والسابع من خلال رسائله، الرباط نيت، الرباط، 2007 ،58/3

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 2992/2

(6) المصدر نفسه،2967/2

الوزير كــل الوسائل التــي حملت السلطان على السطو به واعتقاله(1)، بل حال ابن الخطيب وتعيين بعض الشخصيات فــي هــذا المنصب كما هو شــأن سليمان بن داود وهــو من كبار وجوه البلاط المريني الذي حاول أن يلجأ إلى الأندلس ويتولى منصب شيخ الغزاة لكن " حال دونه ابن الخطيب وثنى رأي السلطان عن ذلك " (2).

كان اختيار شيخ الغزاة يخضع لجملة من الشروط التــي يجب أن تتوفر فــي المترشح لهذا النصب، فيجب أن يكون هذا المرشح معروفاً ببسالته وإقدامه وخبرته في ميادين القتال، وأن يكون قبل ذلك يمت بقرابة إلى السلطان المرينــي فهــذه القرابة هــي " ملاك الترشيح لهذه الخطة فــي الأندلس " (3)، فسليمان بن داود سابق الذكر والذي أراد الفوز بهذا المنصب تم رفضه بحجة أنــه ليس من قرابة السلطان المريني، بذلك فلا يحق له تولي هذه المهمة(4)، أمام هــذا الشرط نجد أن منصب شيخ الغزاة تداولت عليــه أسر معينة لعــل أهمها أسرة بني أبــي العلاء(5) الذين تولوا رئاســة هذه الخطة مدة طويلة (6)، حيث ارتبط اسم هــذه الأسرة بمنصب شيــخ الغزاة وجرت العــادة أن تكــون مشيخة الغزاة فــي هــذا البيت المرينــي بالخصوص(7).

تتلخص مهام شيخ الغزاة فــي الظهير الذي أصدره السلطان النصري محمد الغني بالله بتعيين شيخ الغزاة علــي بن بدر الدين بأنه " شيخ الغزاة بحضرتــه العليــة، وســائر البلاد النصرية ترجع القبائل والأشياخ إلــى نظره فــي السكنات والحركات [...] فعليه تدور أفلاك

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 2965/2، 2967

(2) المصدر نفسه،2971/2

(3) المصدر نفسه،3000/2

(4) المصدر نفسه،2971/2

(5) ينسب بنو العلاء إلى أبي العلاء رحو بن عبد الله بن عبد الحق وهو من الذين عبروا إلى الأندلس مع عامر ومحمد ابني عمه إدريس إثر الجواز الأول لقوة مرينية إلى الأندلس ، ثم لحق بــه ابنه موسى ليجوز بعده من بقــي من بنــي أبي العلاء واستقروا بالأندلس سنة 685هـ / 1287م وكــان رئيسهم فــي تلك الفترة عبد الله بن أبــي العلاء وكــان ابــن الأحمر يعقد علــى "الغزاة من زناتة فيمن يعقد لهم مــن زناتة قبل استقرار المنصب " وأشهر مــن تولــى مشيخة الغزاة منهم عثمان بن أبي العلاء ليخلفه أبناؤه من بعده، و استقر فيهم المنصب لمدة طويلة (ابن خلدون: المصدر السابق،2994/2)

(6)الحريري: المرجع السابق، 51

(7)مؤنس حسين: المرجع السابق، 27/3

جماعتهم كلما اجتمعوا أو أتلفوا، بحجـة فضلـه يزول إشكـالهم مهما اختلفوا وبلسانـه المبين يقرر لهم ما أسلفوا وفـي كنف رعيه ينشأ مـن أعقبوا مـن النشأة وخلفوا، وبـإقدامه تنهض أقدامهم مهمـا توقفـوا فهـو يعسوب كتائبهم الملتفة وفرزان قطعهم المصطفـة [...] وعيـن عيونهم النابهة "(1)، هـذا الظهير الذي حرره الوزير لسان الدين ابن الخطيب يوضح عمـل شيخ الغزاة فـي خطته هذه التـي تتميز بنوع من الاستقلالية، فكل ما يتعلق بالخطة من أمور إدارية، مالية وعسكرية يعود إلـى شيخ الغزاة فهو بمثابة قائد ورئيس حقيقي لهذه الخطة.

أحياناً تسند لشيخ الغزاة مهـام أخـرى ليست عسكريـة بالضرورة، ولكنها تستغـل مكانة هذه الشخصية فـي البلاط المرينـي، حيث استعمل شيـوخ الغزاة مبعوثين دبلوماسيين لدى بني مرين وهـو مـا حدث مـع شيخ الغزاة أبي زكريا يحيى بن رحو الذي حمل رسالة من السلطان النصري أبـو الحجاج يوسف إلـى السلطان المرينـي أبـي عنان يشكـره فيها علـى مساعدته فـي جهاد النصارى حيث جاء فيها " فإنا وصلنا كتابكم يسطع أرجه نشراً، وتزف عزته بشرى، تعرفون بما كـان مـن لحاق الشيخ أبـي زكريا يحيى بن رحو، بمثابتكم العلية، و شرحه ما انتهى به عملـه فـي تلك القضية، ووقوفه عند مذاهب العدل المرضية، وما ظهر لكم من مماثل النصرانية من دغل الطوية، والحيدة عن المذاهب الجلية " (2) .

بهذا نلاحظ تعدد مهام شيخ الغزاة وتنوعها فلم يعد هو ذلك القائد العسكري الذي يقود المتطوعين المغاربة للجهـاد فحسب، بل تعداه إلى شغل منصب لـه مكانة فـي جهاز الدولة النصرية،ما يدل على ذلك هو وجود كاتب خاص به يحرر رسائلـه و يحفظ سره، كان أهمهم علـي بن محمد الصباغ العقيلي(3) الذي" كتب عن شيخ الغزاة أبـي زكريا يحيـى بن عمر

---

(1) القلقشندي: المصدر السابق،8/11

(2) ابن الخطيب: كناسة الدكان ، 143 أنظر الملحق رقم (3)

(3) هو علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ مـن أهـل غرناطة صاحب خط بارع وأدب غض عمـل فـي القضـاء ثم في ديوان الجند ليكتب عن شيخ الغزاة يحيى بن رحو لينتقل إلـى المغرب حيث توفـي بفاس سنة 758هـ (ابن الخطيب: الإحاطة ،96/1 ،أوصاف الناس في التواريخ والصلات: تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، 91، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس،دار الثقافة بيروت،228-229)

(4) ابن الخطيب: الإحاطة ، 96/4

علـــى عهده"(4)، وهـــو نفس المنصب الذي شغلـــه عبد الملك بن سوار المحاربي الذي عمل "كاتباً للغزاة، منوهاً بهم شهوراً بكرم و ظرف " (1) .

بهذا بلغ منصب شيخ الغزاة مكانة ربما هـــي الأعلـــى فـــي جهاز دولة بنـي الأحمر والتي تلي مرتبة السلطان النصري نفسه مباشرة أو بعد مرتبة الوزير .

ثانياً العناصر:

كان شيخ الغزاة يقود جيشاً يتكون من قبائل مختلفة فـي اللسان واللباس(2)، لكن أهـم عنصر مكون لهذا الجيش هـــو العنصر الزناتي(3)، بالإضافة إلـــى مجموعات مـــن المغاربة المتطوعين للجهاد القادمين فـي الأساس من المغرب الأوسـط والمغرب الأقصـــى(4)، وبهذا نلاحظ أن الجيش الأندلسي يتكون مـــن صنفين رئيسيين : أندلســـي يقوده رئيس مـــن أقارب السلطان أو وجه مـــن وجوه الدولة، وصنف بربري " يرجع إلـــى قبائلـــه المرينية والزناتية التيجانية والمغراوية والعجيسية والعرب المغربية إلـــى أقطـــاب ورؤوس، يرجـــع أمـــرهم إلى رئيس علـــى رؤسائهم وقطب لعرفائهم مـــن كبـار القبائل المرينية يمت بصلة إلـــى ملك المغرب بنسب"(5)، إذن كانت العناصر البربرية هـي المكون الأساسي لهذا الفرع من الجيش الأندلسي، وهذا ليس بالجديد فكثيراً ما جُنَّد البربر باختلاف قبائلهم في الجيوش الأندلسية(6).

وقـد توافد إلـى الأندلس الكثير من المتطوعين من شتـــى مناطق المغرب، فهذا الحسن الوزان يخبرنا عـــن جماعات منهم كـــانت تأتـــي من جبل يدعـــى وادراس الذي يقع بين سبتة وتطوان الذي " يسكنه رجال ذوو شجاعة فائقـــة برهنوا عنها بجلاء في الحروب التي دارت بين ملوك غرناطة وملـوك إسبانيا، فكـــان هؤلاء الجبليون يذهبون متطوعين إلـــى غرناطة

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ،17/4

(2) الطوخي: المرجع السابق،225

(3) DHINA : Op Cit, p 436

(4) TERRASSE: ISLAM Op Cit, p208

(5) ابن الخطيب: الإحاطة ،37/1 ، ابن الخطيب: اللمحة ،42

(6) مجهول : مفاخر البربر،تح: محمد بوباية،دار أبي رقراق، الرباط،ط1، 2004 ،99

ويقومون بما لا يقوم به كل جنود أولئك الملوك مجتمعين"(1) .

بهذا استقر هؤلاء المتطوعون في مناطق ومدن عديدة من مملكة بني الأحمر وكانوا يقيمون في أحياء خاصة بهم ، ففي العاصمة غرناطة كانت لهم ضاحية يقيمون فيها تعرف اليوم cenete حيث عرفت بهذا الاسم لكثرة الجنود المغاربة من الزناتيين المقيمين فيها(2)، ورغم أن أغلبية عناصر مشيخة الغزاة وغيرها من التنظيمات العسكرية من البربر، فقد وجد العنصر العربي أيضاً والذي عبر إلى الأندلس بغرض الجهاد، مثل عرب العاصم الهلالية الذين ساهموا في حماية الممتلكات المرينية في الأندلس، وشاركوا في العديد من المعارك ضد الممالك النصرانية(3) .

عرف عن هذه العناصر الزناتية أنهم كانوا في أغلبهم من الفرسان، واشتهروا بمهارتهم الفائقة في ركوب الخيل والقتال من فوقها، فقد كانوا يركبون على سروج صغيرة ويتسلحون بأسلحة خفيفة واعتمدوا في قتالهم على خفة حركتهم وسرعة مناورتهم حتى أن طريقتهم في ركوب الخيل هذه اعتمدها العديد من النصارى بل إن كلمة خيناتي jinete والمشتقة من كلمة زناتي تعني في اللغة الإسبانية الفارس، لكن رغم قيمة هذه العناصر القتالية والتي تبرز في معارك الكر والفر،عكس معارك الصفوف إلاّ أن الغرناطيين اعتمدوا على أساليبهم القتالية الخاصة بهم وتحصيناتهم بالأخص في مناطق الثغور(4) وبهذا اشتهرت هذه الفرق الزناتية باعتبارهم أحسن الجنود وبالخصوص كونهم الفرسان الأكثر سرعة وجرأة في تلك الفترة(5) .

لا تعتبر صفة الفروسية والمهارة في ركوب الخيل بالشيء الجديد على العناصر الزناتية ، لكون زناتة نفسها اشتهرت بالفروسية والاهتمام بتربية الخيول وركوبها(6)

---

(1) الحسن الوزان:المصدر السابق، 322/1

(2) الطوخي: المرجع السابق،226

(3) مصطفى أبو الضيف، المرجع السابق، 186

(4) TERRASSE : ISLAM, Op Cit, p208

(5) TERRASSE HISTOIRE, Op Cit, 2/72

(6) بن عميرة: المرجع السابق، 24

فيصفهم الإدريسي بأنهم "أصحاب حرث ومواشي وجمال والغالب عليهم الفروسية"(1) وبأنهم " فرسان يركبون الخيل ولهم عادية لا تؤمن "(2) .

رغم الوجود العسكري الواضح للعناصر المغربية في الأندلس، إلاّ أن العديد منهم لا يستقر بها، فالكثير منهم يتم الاستبدال بهم عناصر جديدة، ففي عهد السلطان النصري أبي الحجاج يوسف عقد صلح مع ملك قشتالة وقد اشترك في هذا الصلح السلطان المريني أبو الحسن، كان من أهم شروط هذا الصلح ألاّ تمر قوات مغربية إلى الأندلس ما عدا ما يتعلق باستبدال جنود الحاميات المغربية الموجودة بالأندلس(3).

بهذا أصبحت هذه العناصر المغربية أحد الفاعلين الرئيسيين في المجتمع الأندلسي وجزءاً لا يتجزأ من أندلس بني الأحمر .

ثالثاً هيكلة الخطة وعتادها:

عندما أسست مشيخة الغزاة كان الهدف منها جمع المتطوعين المغاربة في تنظيم عسكري يعمل من أجل توجيه جهودهم وتنظيمها وتخصيصها للأعمال الجهادية ضد النصارى، ولتحقيق هذه الغاية كان يجب وضع نظام خاص بهذه الخطة وتعميمها، وهو ما كان عليه الأمر حيث كان مقر قيادة مشيخة الغزاة في العاصمة غرناطة وتتفرع منها عدة قيادات فرعية بمدن أندلسية أخرى(4)، وتركزت هذه القيادات الفرعية في مدن هي وادي آش، رندة ، مالقة وذكوان وكذلك توجد قوات مشيخة الغزاة في بعض الثغور والمناطق الحيوية مثل قمارش وحصن قشتال(5) .

كان على رأس كل فرع شيخ للغزاة، فهذا شيخ الجند المغربي عثمان بن أبي العلاء كان في أول أمره شيخاً للغزاة في مدينة مالقة وغربيها ثم ارتقى ليكون أمير الغزاة

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق،126

(2) المصدر نفسه،158

(3) السيد عبد العزيز سالم، العبادي أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، 323

(4) الحريري: المرجع السابق، 228

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 2999/2، الطوخي: المرجع السابق، 224-225

المجاهدين فـي كل المملكة النصرية(1)،وهي نفس حالة شيخ الغزاة علي بن بدر الدين، الذي ارتقـى من شيخ لغزاة وادي آش ومالقة ليكون شيخ غزاة للمملكة ككل(2)، وكـان شيخ الغزاة يقـود جيشاً مكوناً مـن عـدة كتائب وكل كتيبة كـان علـى رأسها قائد له درجته وأرزاقه(3)، وأحياناً كان يقود هـذه الكتائب الفرعية وجوه غرناطية معروفة،فقـد قاد الكتيبة الثانية لعسكر الغزاة الأمير سعد بن السلطان محمد الغني بالله"وقدمه علـى الكتيبة الثانية من عسكر الغزاة المشتملة على الأشياخ من أولاد يعقوب كبار بني مرين،وسائر قبائلهم المكرمين وغيرهم من القبائل المحترمين ينوب عن أمره في عرض مسائلهم، وقِرى وافدهم، وإجراء عوائدهم "(4).

وكان قادة فروع مشيخة الغزاة في الأقاليم يخضعون لسلطة حاكم الولاية ، وهذا مثلاً حال عثمان بن أبـي العلاء عندمـا كـان شيـخ غزاة مالقة " وعـقد المخلوع لأخيه عثمان بن أبـي العلاء علـى حامية مالقة وغـربيها مـن الغزاة لنظر عمه الرئيس أبـي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر "(5)، وبهـذا النظام استطاعت هذه الخطة أن تعمل بالسرعة اللازمة وتكون لها النجاعة الحقيقية للقيام بمهامها المنوطة بها .

كـان المجتمع الغرناطـي فـي عمومه يهتم ويستعـد للقتال والـتدرب علـى استعمال مختلف الأسلحـة ، وهـذا بحكم وجوده بين ثـلاث دول نصرانيـة تناصبـه العـداء قشتالة، أراغون والبرتغال(6)، فالعناية بالجند شيء أكيد حيث أماكن الجهـاد والرباط ولعـل الأندلس أهـم هـذه المناطق(7)، لذا نجد أن العديد مـن وجـوه المجتمع الغرناطي مـن قضاة وغيرهم يحرضون أهلهم على الجهاد والاستعداد له(8)،بل كان هذا هَمُّ بعض سلاطين بنـي الأحمر(9)

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، 2994/2 ، أنظر الملحق رقم (2)

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، 53/4 ، ابن خلدون: المصدر السابق3000/2

(3) القلقشندي: المصدر السابق،271/5 ، الطوخي: المرجع السابق،225

(4) المقري: المصدر السابق، 351/6 ،وكان شيخ الغزاة العام يتولى الكتيبة الأولى وهي الأكبر

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 2994/2

(6) الطوخي: المرجع السابق،214

(7)محمد بن الأزرق الأندلسي: بدائع السلك فـي طبائع الملك، تح: محمد بن عبد الكريم،الدار العربيـة للكتاب، ليبيا، تونس، دط، دت، 203/1

(8) النباهي علي بن عبد الله: تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا،تح: مريم قاسم الطويل،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ،1995 ،161

(9) الطوخي: المرجع السابق،214

مــن بينهم محمد الغنــي بالله الـذي كتب يحث أهل مملكته علــى الاستعداد للحرب والقتــال " أعدُّوا الخيل وارتبطوا [...] واقتنوا السلاح والعدة[...]واستميتوا مــن دون أبنائكم، وكونوا كالبنيان المرصوص لحملات العـدو النازل بفنائكم"(1)، لأجل هـذا اهتم الأندلسيون بصناعة الأسلحة ومختلف العتــاد العسكري وبرعوا فيــه " كــانت خزانة هذه الدار النصرية مشتملة على كل نفيسة [...] وعلـى كـل واق من الدروع، وحام من العدة، وماض من الأسلحة "(2).

تنوعت الأسلحــة التــي كــانت تنتجها الأندلس مــن تروس ورمـاح وسروج وألجم ودروع ومغافر وخاصة تـلك الأسلحة المصنوعــة مــن الفولاذ ذي الجودة العاليــة(3)، فهذه الأسلحة هــي " أكثر همم أهل الأندلس "(4)، وبرع الأندلسيون فــي استعمال بعـض الأسلحة التي أخذوها عن النصارى فقد كان " سلاح جمهورهم العصــي الطويلة المثناة بعصي صغار ذات عرى فــي أوساطها تدفع بالأنامل عنـد قذفها تسمــى الأمداس، وقســي الفرنجة يحملون علـى التدريب بها علــى الأيام "(5)، فما نلاحظه إذن أن أغلب أسلحة أهل الأندلس هي نفسها أسلحــة النصــارى المجاورين لــهم فقــد كـانوا يستعملون التروس والرمــاح الطويلة للطعن ويستعملون قسي النصارى لمعارك الحصار(6).

إن أقوى الأسلحة التــي استعملتها الجيوش النصرية هي آلات تشبه المدافع ، استعملت في دك الحصون و القلاع ، حيث استعملت فـي حصار حصن أشكر من قبل الأمير إسماعيل بن فرج سنة 724هـ/1324 م " ونـازل حصن أشكر[...] فأخذ بمخنقه ونشر الحرب عليــه، ورمـى بالآلة العظمــى المتخذة مــن النفط كرة حديـد محماة طاق البرج المنيع مــن معقله، فاندفعت يتطاير شررها واستقرت بيـن محصوريه فعاثت عياث الصواعق السماويــة "(7)،

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ،32/2،27-33

(2) محمد بن محمد المقري: أزهار الرياض فـي أخبـار القاضي عياض، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، 53/1

(3) سالم سيد عبد العزيز: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985، 273

(4) المقري: نفح الطيب، 202/1

(5) ابن الخطيب: اللمحة، 42

(6) المقري: نفح الطيب، 222/1

(7) ابن الخطيب: الإحاطة ،208/1

و قد وصف ابن هذيل(1) هذا السلاح بقوله:(الطويل)

وظنوا بأن الرعد والصعق في السماء فحاق بهم مـن دونها الصعق والرعد

غـــرائب أشكـــال سمـــا هرمس بهـا مهندمـــة تأتـــــي الجبـــال فتنهـد

إلاَّ أنـــــها الدنيـــا تريـــك عجـائبها وما فـــي القوى منها فلا بـــد أن يبدو(2)

أمـــا بالنسبة للفرسان المغاربـــة الذين كانوا يشكلون أحـد فروع الجيش النصري فقد تميزوا بأسلحتهم الخاصة بهم، فقد كان لباسهم الحربي يتمثل فـــي كونه برنس ينتهـــي بقبعة من الزرد لحمايـــة الرأس وكـــانت تدعـــى المغفر، كمـــا كانوا يلبسون قمصانـــاً مصنوعـــة مـن حديـد، ويستعملون التروس الطويلة والرمـــاح القصيرة الرشيقة، كمـــا استعملوا سيوفاً خفيفـــة ، وكانت سروج خيولهم صغيـرة طويلـة(3)، كمـا أدخل فرســان زناتة هؤلاء نوعاً جديداً من التروس، حيث كانت تصنع هذه الأخيرة فـــي الأندلس مـــن النحاس أو الحديد أما التروس المغربية فخشبية أو جلديـة تدعـى اللَّمط وتستعمـل للحماية مـــن ضربات السيوف والرمـــاح والسهـام(4)، وكان الفرسان الزناتيون يفضلون هذا النوع مـن التروس لخفة حملها وسهولـة استعمالها، كما كانوا يستعملون القوس العربي التقليدي لسهولة حمله، فقد كـان يعلق على الكتف وتربط كنانته على الظهر(5).

هـؤلاء المقاتلون البربر أدخلوا إلـــى الأندلس أساليب قتالية جديدة خاصة مـع كونهم فرساناً خفيفة مجهزين بأسلحة خـاصة، أهمها الدرقة تلك الترس الجلديـة الصغيرة والخفيفـة وسهلة التحكم والاستعمـال، حتـــى أن النصارى أخذوها عنهـم فيمـا بعـد، وكـــان أسلوبهم وطريقتهم فـــي ركوب الخيل والمشهورة بخينيتا gineta هـــي المتمثلة فـــي الركاب العالـــي الذي يجعل الفارس يثني ركبتيه قليلاً مما يجعله أكثر حرية في حركته(6).

(1) ابن هذيل أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي الأرجدوني، كان من القلائل المشتغلين بالعلوم العقلية من طب وهندسة وحساب، له تصانيف عديدة ودواوين شعر، توفي سنة 753هـ/1353م(ابن الخطيب: الإحاطة،4/334-344،335، أوصاف الناس،85-86

(2) ابن الخطيب: اللمحة، 88-89

(3) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 92-93

(4) DHINA : Op Cit, p 440

(5) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 93

(6) GHICHARD : Op Cit p212

ساعدت هذه الأنواع من الأسلحة وأساليب المناورة الفرسان المغاربة، حيث كانوا أمهر في القتال على الخيول من نظرائهم الأندلسيين الذين امتازوا بالثقل نظراً للدروع والتروس التي يحملونها(1)، وقد وصف ابن الحاج النميري فرسان زناتة أثناء القتال بأنهم " بني مرين فرسان الإسلام ومعفري الآساد في الآجام، الخائضين غمرات الموت الزؤام [...] كرش القتال و عيبته [...] بخيول ترمي حوافرها بشرر كالقصر"(2).

هذا الوصف يبين أهمية الخيول في الجيش الأندلسي ، خاصة عند أجناد المغرب الذين لم يُعرفوا إلاّ بكونهم فرساناً، هذا لم يكن بالشيء الجديد، فقد عُرفت قبيلة زناتة البربرية باهتمامها بالخيل وتربيتها خاصة تلك الأنواع العربية الوافدة مع القبائل العربية الزاحفة على المغرب، حتى أن بعض أنواع الخيول اشتهرت بأسماء بعض القبائل الزناتية، فهناك الخيول الفازازية نسبة إلى فازاز، وهم بطن من زناتة ، كما عرفت قبائل بني حميد وهم من غمارة بإنتاج معروف من الخيول عربية الأصل تعرف بالخيول الحميدية(3).

أما في الأندلس وباعتبار الحصان أحد أهم الأسلحة في الجيوش فقد اهتم الأندلسيون بتربية الخيل وإعداده وتدريبه(4)،ويذكر العذري في كتابه ترصيع الأخبار بأن ساحل تدمير شرق الأندلس، كان مركزاً لتربية الخيل، حتى أنه "كان يخرج منها ألف فرس من كل لون من ألوان الخيل "(5)، وكانت الخيول في الأندلس محل اهتمام بالغ لأهميتها في الأعمال القتالية وقد عرف عنها أنها حسنة الترتيب(6)، حيث يصفها ابن الحاج النميري: "واختص خيول الأجناد الأندلسيين بالبراقع البديعة الجمال المرسلة إرسال السجوق على رباب الدلال

---

(1) DHINA : Op Cit, p 440

(2) إبراهيم بن أحمد ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1990 ،395

(3) أبو الضيف أحمد: المرجع السابق، 311

(4) العبادي أحمد مختار: نظم الحكم و الإدارة في الدولة الإسلامية ضمن الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، السويس، 1996، 179

(5) أحمد بن عمر العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 3

(6) الطوخي: المرجع السابق، 237

[...] وقد جعلت الكواكب الجلاجل المذهبة سماء[...] فملأت أصوات أجراسها"(1).

أما بالنسبة لألبسة الجيوش فـي الأندلس فتختلف باختلاف الفرق وتخصصاتها القتالية، فلكل واحدة منها لباسها وسـلاحها الخـاص بها وتبين الصور الحائطيـة فـي ناحية البرطل بقصر الحمراء شكل الجنود الغرناطيين، فحملة القسـي يرتـدون العمائم والجباب ذات أكمام قصيرة ، ويرتـدون أحيـاناً قمصاناً ، ولهـم سراويل طويلة تصل إلـى الكاحل، ويلبس حاملو الدرق والسيـوف خوذات مـن حديد علـى رؤوسهم بدل العمـائم، وتكـون للخـوذة مغفرة أو صفيحة حديدية تتدلـى علـى القفا، أما الأتباع فيلبسون جبة تصل إلـى الركبة وسـراويل طويلة تصل إلى الكاحل أو قمصاناً مع هذه السراويل، ويغطون رؤوسهم بالعمائم ويلبسـون في أرجلهم الأحذية أو الخفاف(2).

وكـان كثيراً مـا يتزيا الجنود الغرناطيـون بأزيـاء جيرانهم النصـارى حـيث يصفهم ابن الخطيب بأن " زيهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم فـي إسباغ الدروع وتعليـق الترسة، وجفاء البيضـة واتخـاذ عراض الأسنة [...] واستركـاب حملـة الرايات خلفهم كـل منهم بسمة تخص سلاحـه وشهرة يعرف بهم، ثـم عـدلوا الآن عـن هـذا الزي إلـى الجواشن المختصرة والبيضات المذهبـة، والسـروج العربيـة ، واليب اللمطية والأسل اللطيفة"(3)، وقـد تفرد أهـل الأندلس بأزيائهم الخاصة بهم يصفهم ابن الحـاج النميري بـأن " علـى جميـع هؤلاء الأصناف أنواع الأقبية التـي حسن لها التمييز [...] والـدروع الدودية التـي أنست صفحات الأنهار، وأمـا القلانس والشواشي المذهبة والمفضضة فتلك التي باهت الشموس الباهرة الأنوار"(4).

أما بالنسبة للجنود المغاربة الوافدين على الأندلس، فتميزوا بزي خـاص ومختلف نوعاً ما عن زي نظرائهم الأندلسيين، فقد كانوا في عمومهم " يتعممون بعمائم طوال قليلة العرض مـن الكتان" (5)وتظهرهم الرسوم المسيحية يلبسون العمائم و تظهر من خلالها قلنسوة طويلة

(1) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، 225

(2) الطوخي: المرجع السابق،233، أ أنظر الملحق (8)

(3) ابن الخطيب: اللمحة، 41-42

(4) ابن الحاج النميري: المصدر السابق،223

(5) القلقشندي: المصدر السابق،203/5

بألوان قاتمة تحيط بكامل الوجه على الطريقة البدويــة، حيث أنها تغطــي الرقبــة والوجنتين وأسفــل الفــم وتعود دقة الوصف هذه إلـــى أن العديد مــن هؤلاء الرسامين يكونون قد قابلوا خلال معارك الثغور، المقاتلين الذين ينتمون إلى تلك المجموعات المغربية التــي كانت ضمن الفرق العسكرية الغرناطية(1) وكــان هؤلاء المغـاربة كثيراً مــا يتقلدون سيــوفهم تقلداً بدوياً بتعليقه على الأكتاف(2).

وكــان من عادة سلاطين بني الأحمر، أن يعرضوا جيشهم و يميزوه، وهذا لإظهار مدى قوتهم ، وليطلبوا مزيــداً مـن المغارم ، فكــان من عادة الجيش الغرناطــي أن يستعرض أمــام سلطانــه فــي منطقة السبيكة، وهـــي محل متسع بجانب حمراء غرناطة، ويقــوم أهــل غرناطــة بالخروج رجــالاً ونساء وصبيــاناً لمشاهــدة هــذا العرض، بـل كان الناس يقبلون من القرى المجاورة، ويمر أمــامهم الفرسان وسائر عناصر الجيش الأخرى فــي جــو أقرب إلـــى الاحتفال(3)، وأثنـــاء هــذا الاستعراض يبرز فرسـان زناتة في كامل حلتهم ، وكـــانوا مختلفين فـــي طريقـــة عرض أنفسهم حيث كـــانوا يقومــون بالغنـــاء وإنشـــاد الشعر بلغتهم الزناتية(4)، ويعرف هذا الغناء بـ:تاصوكيت بمعنى الفرح ويعتبر هــذا مــن العادات الزناتية الراسخة حيث " يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف، ويتغنــى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي، ويبعث علــى الاستماتة من لا يظن بها "(5)، وتتجلـــى هذه العادة خصوصاً في المغرب فعند بنـــي عبد الواد كان إنشاد الشعر مــن أهــم مراسيم عرض الجيوش حيث كانت يتقدم الجيش بعير تركبه مغنية " تغنـــي بأشعـــار زناتية ممـــا يهيج أريحيات الهمـــم ويبعـــث حمايات النفوس"(6)،هذه العادات كانت كثيراً ما تحرج سادة غرناطة وفقهاءها الذين كانوا لا يحبذون

---

(1) ARIER RACHEL : quelque remarques sur les costumes des musulmans d'Espagne aux Temps des nasrides, ARABICA, E J BRILL éditions, LEIDEN, 1956 ,12/248

(2) القلقشندي: المصدر السابق،203/5

(3) مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تح: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط1 ،2002، 3

(4) TERRASSE : ISLAM, Op Cit, p 208

(5) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2004 ،247-248

(6) يحيــى بن خلدون: بغية الرواد فــي ذكر **ملوك** بنــي عبد الواد، تح: ألفرد بل، بيير فونطانا الشرقيـة،الجزائـر، 1903، 182/2

مثل هذه التصرفات(1)،وهذا على الرغم من استعمال الجيش الغرناطي للآلات الموسيقية(2).

لقد كانت رايات بني الأحمر فـــي عمومها بيضاء " والعلم الأبيض يفري وينهر"(3) وهـو نفس شعار بنـــي مرين وعناصرهم فـي الأندلس، فقد كانوا يحملون راية يسمونها العلم المنصور وهو " علـــم أبيض، حرير مكتوب فيـــه بـــالذهب نسيجـــاً بأعلـــى دائرة آيـات مـــن القرآن"(4)، بالإضافة إلـــى بنود أخرى مختلفـــة الألوان منسوجـة بالذهب فيها الصغير والكبير(5)، والأرجح أن رايات الجند المغربي كانت على هذه الشاكلة.

كان تمويل عناصر مشيخة الغزاة يتم عـــن طريق عـــدة قنوات ، أولها الجباية حيث قاسموا سلطـــان بنـــي الأحمر " أكثر الجبايـــة والأعطية والأرزاق بمـــا كـانت الحاجة إليهم فـــي مدافعة العدو "(6)، بـــل كانوا أحياناً هم من يفرض الضرائب ويجمعها(7)، القناة الثانية للتمويل هـــي أعطيات السلطان نفسه حيث كثيراً ما يزيد السلطان أعطيات الجند و يزود أهل الجهاد بكل مـــا يلزمهم، وهـــو مـــا قـــام بـــه محمد الغنـــي بالله(8)، وكانت تدفع لهـــم أرزاقهم فـــي العموم مـــن الذهب وهـــذا حســـب مراتبهم(9)، أو بمنحهم أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع وهو ما يسمى بالعولة(10).

تميز المقاتلون المغاربة فـــي العموم بنظام وتكتيك حربي خاص بهم واشتهر بـــاسم قبيلتهم زناتة، وقـــد انتشر هذا النظام فـــي الأندلس الإسلامية وحتـــى فـــي إسبانيا النصرانية

(1) TERRASSE : ISLAM, Op Cit, p 208

وقد ذكر البعض أن عادات الغناء وإنشاد الشعر لدى الزناتيين جـــاءت نتيجة تأثرهم بعادات القبائل العربية الهلالية المستقرة بجوارهم (مصطفى أبو الضيف: المرجع السابق،299)

(2)العبادي أحمد مختار: صور ،236

(3) ابن الخطيب: الإحاطة ، 503/4 ،كما اتخذ بنو الأحمر كذلك الرايات الحمراء ويدل على ذلك قول ابن زمرك في مدح الغني بالله: أعلامك الحمر فوق السفن خافقة وريح سعدك يجريها على قدر (العبادي أحمد مختار: صور،231)

(4) القلقشندي: المصدر السابق،206/5

(5) ابن خلدون: المقدمة، 248

(6) ابن خلدون: العبر، 2999/2

(7) المصدر نفسه،2995/2

(8) المقري: نفح الطيب، 508/1

(9) القلقشندي: المصدر السابق،271/5

(10) الطوخي: المرجع السابق، 226

حيث اتخذ ملوك قشتالة فرقاً إلـــى جانب فرقهم الثقيلة، فرقاً خاصة مـن الفرســان يحاربون علـــى طريقة الفرسان الزناتيين والتـــي تتميز بخفــة حركتها والمزودة بـــالتروس الخفيفـــة " الدرقة" والركاب المرتفع وطريقة الكر والفر فـي القتال(1)، وعموماً كان هذا النظام المتبع في الكر والفر" هو قتال العرب والبربر من أهل المغرب"(2).

واعتمد الفرسان المغاربة فـــي أغلب مواجهاتهم مـع النصارى علـــى قـــوة المناورة وحركة المناوشة المتميزة بالسرعـــة والخفـــة، فبينما كانت الجيوش النصرانية تتحرك ككتل متماسكة تعتمد علـــى صدمة هجوم الفرسان الثقيلـــة، كـــان الفرســان المغاربة علـــى خيولهم الخفيفـــة يناورون بشكل متحرك أثنـــاء الاشتباك مـــع قوات أعدائهم أو العمل علـــى إزعاجها واستدراجها إلى كمائن و إنهاكها(3)، وبهذا التكتيك قـــام الفرسان المغاربة وحتـــى الأندلسيين بطريقة الكر والفـــر بعكس تكتيك النصارى القائم علـى طريقة المسير فـــي صفوف للضغط على عدوهـــم(4)، هذا الأسلوب التقليدي كان يهدف أساساً إلى الدوران حول العدو ومباغتة نقاط ضعفه أوقع بالنصارى خسائر غير منتظرة في العديد من المرات(5).

غيـر أن هذا التنظيم كان يتغير فـــي معـارك حصار المدن والحصون، حيث كان يعمد رؤساء الجند إلـــى إنشاء فرق أو عصابـــات صغيرة لها نظامها الخـــاص وتعمل بصفة شبـــه مستقلة عـــن الجيش النظامي، كانت هـذه الفرق تتسلل إلى معسكرات العدو وتقتحم خيام قادة الفرق وتهـــاجم مرابط الخيـــل وتفسد المـــؤن وتنهـــب الأسلحـــة وتحـرق المعسكـــرات وتنصب الكمائن و هذا لتحرج العدو وتجبره على التراجع(6).

إن كـــل تلك الأساليب السابقة أثرت بشكل فعال علـــى النصارى حتـــى أنهم أسموه GINETES والمشتق من لفظ زناتة(7).

---

(1) الطوخي: المرجع السابق، 227-228

(2) ابن خلدون: المقدمة، 453

(3) شفيق منير: علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط3، 1980، 131

(4) DHINA : Op Cit, p 453

(5) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 94

(6) المرجع نفسه،89

(7) الطوخي: المرجع السابق، 228

المبحث الثالث: أعمال الخطة ونهايتها

أولاً : أعمال الخطة:

كان الهدف من إنشاء خطة مشيخة الغزاة، هو جمع المتطوعين المغاربة وتنظيمهم لجهاد النصارى، وقد تحقق هذا الهدف إلى حد بعيد، هذا بالنظر إلى الأعمال الجهادية العديدة التي قامت بها قوات هذه الخطة وإلى النتائج التي حققتها بالرغم من قلة أعدادها(1) وقد بدأت مساهمتها في الأعمال الجهادية في وقت مبكر، وحتى قبل ترسيمها، فقد ساهمت هذه القوات التطوعية في حملات السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق في الأندلس، وساهموا في حملته وجوازه الرابع حيث " وافاه مدد من عساكر الغزاة، وقائدهم يعلى بن عياد بن عبد الحق بوادي بردة فلقاهم مبرة و تكريما "(2)، واستمر الحال مع عبور القوات المرينية إلى الأندلس، ففي عهد السلطان أبي الحسن المريني(3) وجوازه إلى الأندلس سنة 740هـ/1340 م وعند مدينة طريف حيث عسكر السلطان بقواته بها " وافاه سلطان الأندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بعسكر الأندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو، فعسكروا حذو معسكره" (4)، وكان لهم من الجهد والفضل إلى حد إشادة أبي الحسن بقادتهم ورد من أراد الوشاية بهم(5).

بالإضافة إلى المساهمة في حملات بني مرين كان أفراد مشيخة الغزاة يساهمون في حملات بني الأحمر مساهمات حقيقية لعل أبرزها الحملة التي قام بها السلطان النصري

---

(1) كانت قوات المشيخة تتكون من كتيبتين رئيسيتين وبعض الحاميات في فروعها بالأقاليم وهو عدد ليس بالكثير (المقري: نفح الطيب ، 351/6)

(2) ابن خلدون: العبر، 2860/2

(3) هو علي بن يعقوب بن عبد الحق وكنيته أبو الحسن ولقب بالمنصور بويع له في ذي القعدة من سنة 731هـ/1331م وتوفي في سنة 752هـ/1351م وكان من أعظم ملوك بني مرين حيث ملك المغرب كله، استولى على تلمسان من سلطانها الزياني أبي تاشفين وملك تونس من سلطانها الحفصي عمر بن أبي يحيى، وقد نافسه على العرش ابنه أبو عنان وانتهت المشاكل التي واجهها بهلاكه (ابن الأحمر: روضة النسرين ،35-37)

(4) ابن خلدون: العبر، 2903/2

(5) تعود القضية إلى محاولة بعض خدام السلطان أبو الحسن الوشاية بشيوخ بني أبي العلاء ، فنهره السلطان وواجهه بحقيقة إخلاصهم حيث ذكَّره وقال :" أركب بعد صلاة الصبح لتفقد الإنشاء وغيره وأجد كبيرهم عامراً وأخاه إدريس ومن معهما واقفين ينتظرونني وأنت وأمثالك راقدون، فآمنهم و يأمنوني" (ابن مرزوق: المصدر السابق،206)

محمد الغنـــي بالله علـــى قرطبة وجيان سنة 770هـ/1396م، الـــذي انتهز فرصـــة انشغـــال المتنازعين على عرش قشتالة بحروبهم، وقام بغزو المنطقتين، واشترك في هذه الحملة جيش من المتطوعيـن المغاربة بقيادة شيـخ الغزاة عبد الرحمن بن أبـي يفلوسن، الذي أشادت بـــه المصادر الإسبانية وبشجاعة شيخ الغزاة Abenfaluz ابن يفلوسن، وقد استطاع شيخ الغزاة هـــذا أن يخترق حصن قرطبة، وأنـــه لولا هطول الأمطار وكثرة الأوحـال لتمكن المسلمون مـــن استعـــادة عاصمتهم القديمـــة(1)، حيث وصلت قوات مشيخة الغزاة فـــي هـــذه المعركـة المعروفة بـ Compo de la verdadإلـــى أسوار المدينة وكـــاد أن يستولـــي عليها(2)، كما كان للعديد مـــن شيوخ الغزاة غزواتهم الخاصـــة بهم، حيث يخبرنا ابن الخطيب عـــن شيخ الغزاة عامر بن عثمان بن إدريس أنه " غزا غزوات شهيرة "(3).

لكن أهم وأخطر مهمة كـــانت تضطلع بها مشيخة الغزاة، هـي الدفاع عـــن مملكـة غرناطة ورد الهجمـــات المتكررة والعديـــدة للممالك النصرانيـــة عنها، وتجلـــى ذلك خاصـــة في حملات فرناندو الرابع، ملك قشتالة على مملكة بني الأحمر، حيث استولى فـــي حربه هذه علـــى الجزيرة الخضراء سنة 709هـ/1310م ثم بعدها علـــى جبل الفتح، وفـــي الوقت الذي حـــاصر فيـــه ملك قشتالة جـبل الفتح، قـــام مـــلك أراغون خايمي الثانـــي بمحاولة الاستيلاء على مدينة المرية(4) وتعرضت هذه المدينة إلى محنة كبيرة هي الأكبر فـــي تاريخها(5) وكان لشيخ الغزاة عثمان بن أبـي العلاء اليد البيضاء فـــي تفريج كربة المدينة، حيث بعد الاستيلاء علـى جبل الفتح، أقامت القوات النصرانية معسكرها علـــى مدينتي شبانة وأصطبونة، فزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبـــي العلاء لإغاثة المدينتين وهـــذا بأمر من سلطان غرناطة، فهزم بن أبي العلاء معسكر أصطبونة وقتـل قائدهم ألفونسو ثم انطلق لنجدة العباس

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، العبادي احمد مختار: المرجع السابق،347

(2) الطوخي: المرجع السابق،227

(3) ابن الخطيب: الإحاطة ، 49/4

(4) الطوخي: المرجع السابق، 33-34

(5) ابن الخطيب: الإحاطة ، 258/3-259

بن رحو الذي كـــان محاصراً مــن قوات النصارى، فانسحبوا بمجرد وصول خبــر مجـــيء بن أبــي العلاء، كما هزم شيخ الغزاة القوات التي بعثها ملك قشتالة للقضاء عليــه وقتل قادتهم ووصل بن أبـــي العلاء إلـــى مشارف المرية ونزل قريباً مــن معسكر ملك قشتالة " وألـــح بمغاداتهم و مراوحتهم إلى أن رغبوا إليه فـــي السلم وأفرج عن البلد" (1) وانتهت بذلك محنة أهل المرية واستطاعوا الحفاظ على مدينتهم.

كما استطاعت قوات الغزاة المغاربة من رد أخطر وأكبر هجوم تعرضت له العاصمة غرناطة نفسها سنة 719هـ/ 1319م بقيــادة الوصيان علــى عرش ألفونسو الحـادي عشـــر دون بيدروDON PEDRO ودون خوان DON JUAN (2).

أمام هذا الخطر الداهم لغرناطة لم يجد سلطان بني الأحمر آنذاك أبـو الوليد إسماعيل بن فرج من حل سوى الاستنجاد بسلطان بنـــي مرين أبـــي سالم لكن محاولته تلك لم تنجح(3) ، وهـــذا راجع إلى الخلافات السياسية القائمة بين سلطان بنـــي الأحمر وسلطان بنـــي مرين حول شيخ الغزاة عثمان بن أبـــي العلاء وضرورة تسليمــه لبنـــي مرين كشرط لأي إعانة محتملة وهذا لما أحدثه شيخ الغزاة مــن قلاقل و مشاكل بالمغرب ، هـــذا لـم يرض بطبيعة الحال السلطان النصري ورفض تسليم رئيس جنده المغربي رفضاً تاماً وكان على حق في ذلك(4).

في مواجهة هذا الوضع المتأزم، لم يجد سلطان بنـي الأحمر من مخرج سوى تسليم أمـر رد الهجوم القشتالي لشيخ الغزاة "، فتقدم السلطان إلـــى شيخ الغزاة الشيخ الرئيس العالم أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني بالخروج إلى لقائهم بأنجاد المسلمين و شجعانهم"(5)، وكانت واقعة غرناطة هذه سنة 719هـ/1319م مــن أغرب الوقائع، ففـــي مواجهة جيوش النصارى العظيمة استعمل شيخ الغزاة الحيلة فـــي الإيقاع بها فعمد إلـى جماعة جنده واختار من أنجاد بنـــي مرين نحـــو المـائتين أو يزيدون وتقدم نحـــو جيش النصارى فظنوا أن هؤلاء الجنود خرجوا لأمـــر غيـــر القتال فقد يكونون وفداً للمفاوضة أو إبلاغ رسالة أو غير ذلك،

(1) ابن خلدون: العبر، 2893/2

(2) الطوخي: المرجع السابق، 36

(3) المقري: نفح الطيب، 449/1-450

(4) ابن خلدون: العبر، 2994/2

(5) المقري: نفح الطيب، 450/1

وتقـدم هؤلاء الجنود حتى اقتربوا من المكان الذي يقف فيه قادة الجيش القشتالي ثم " صمموا نحوهما حتى خالطوهما فـي مراكزهما فصرعوهما فـي حملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الأدبار " (1)، وهلك كثير مـن النصارى في مياه نهر شنيل " فتطارحوا فيه، وهـلك كثيرهم، واكتسحت أموالهم " (2)، وقد قتل فـي هـذه المعركـة أميري قشتالة، وقـد ذكرت المصادر الإسبانيـة أن هذيـن الأميرين مـاتا ميتـة طبيعية، فدون بيدرو مات بالسكتة القلبية بينما دون خوان فمات نتيجـة العطش والحـر الشديد وهو ما يخالف واقع ما حدث(3).

وقد كان لهذه المعركة صدى واسعاً حتى في بلاد المشرق،حيث يذكرها ابن العماد فـي أحداث سنة 719هـ / 1319م (4)، وبهذا استطاع شيخ الغزاة وعناصر الجند المغربـي أن يثبتوا مدى فعاليتهم فـي جهاد النصارى، ورد الهجمات الإسبانيـة بنجاعة أكبر، رغم قلـة العدد والعدة وأثبتت الخطة أن وجودها في النظام النصري ضروري وفعال.

ثانياً نهاية الخطة:

استمر شيوخ الغزاة وعناصرهم مـن المتطوعين المغـاربـة يقومـون بأعمالهم الجهادية المنوطة بهم والتـي جاءوا من أجلها إلـى الأندلس، لكن الظروف السياسية المتأزمة آنذاك والتـي تلوح فـي الأفق بين بنـي الأحمر وبنـي مرين حكمت على هذه الخطة بالنهاية والزوال.

علـى إثر وفاة السلطان المريني عبد العزيز، ترك عرشه بيد ولد صغير هو السعيد ففتح هذا الظرف، البـاب علـى مصراعيه للصراع بين الوزراء والأوصياء علـى العرش،

---

(1) السلاوي: المصدر السابق،53/2 ابن خلدون: العبـر ، 2894/2، (تعتبـر روايـة ابـن خلدون والسلاوي لواقعـة فحـص غرناطة هـي الأقرب للواقع حيث تأتـي الروايات الأخـرى بأن اللقاء كان مباشراً وأن قـوات غرناطة ورغم قلتها استطاعت هزيمـة الجيوش النصرانية كثيرة العـدد حيث قدرت القـوات النصرية بزهاء خمسـة آلاف مقاتل، المقري: نفح الطيب، 450/1)

(2) ابن خلدون: العبر، 2894/2

(3) الطوخي: المرجع السابق،36

(4) ابن العماد عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 51/5

فعمت الفوضى المملكة و ُفتح المجال أمام تدخل أطراف خارجية في هذا الصراع، والتي استغلته لصالحها(1)، وكان أهم هذه الأطراف السلطان النصري محمد الغني بالله الذي كان في خلاف مع وزير السلطان المريني أبي بكر بن غازي، حيث رفض هذا الأخير تسليمه وزيره السابق والمغضوب عليه لسان الدين بن الخطيب، أمام هذا الرفض قام الغني بالله بعدة إجراءات لإحكام السيطرة على بني مرين ودولتهم ، كونها كانت في حالة ضعف ووهن، فبالإضافة إلى تدعيم أعدائهم بني عبد الواد في تلمسان، قام الغني بالله بعمل لم يجرؤ عليه أي ملك نصري سابق، وهو إلغاء منصب شيخ الغزاة من مملكته والذي كان دائماً يشغله أمراء من البيت المريني من بني عبد الحق، وتولى المنصب هو وأولاده ،وشرع في التدخل السافر في شؤون الدولة المرينية(2).

لكن هذه العملية تمت بالتدريج وبطرق مختلفة، فقام الغني بالله أولاً بإضعاف أصحاب هذا المنصب حيث قام بالقبض على شيخ الغزاة إدريس بن عثمان بن أبي العلاء وقرابته من الغزاة وأودعهم السجن، وأسند القيادة إلى ابنه وولي عهده الأمير يوسف الذي استمر في المنصب ثلاث سنوات(3)، لكن سلطان بني الأحمر عاد وعين شخصية أخرى من قرابة السلطان المريني شيخاً للغزاة وهو علي بن بدر الدين الذي كان يشغل منصب شيخ غزاة إقليم وادي آش، لكنه لم يستمر سوى لعام واحد حيث توفي سنة 768هـ/1366م.

استمر الغني بالله في سياسته الرامية إلى إبعاد أفراد الأسرة المرينية عن منصب شيخ الغزاة،حيث قام بتعيين الأمير المريني عبد الرحمن بن أبي يفلوسن كشيخ للجند المغربي واستغله في زرع الفتنة وإذكاء نار المنافسة على العرش المريني، بأن أرسله إلى المغرب الأقصى بقصد جعله طرفاً في السباق المحموم لحكم المغرب، وبرحيل هذا الأمير المريني وتحكم السلطان النصري في أمور المغرب، كان من الطبيعي أن يزيل نهائياً آخر مظاهر

---

(1) فرحات يوسف شكري: المرجع السابق، 49

(2) الحريري: المرجع السابق، 172

(3) ابن خلدون: العبر، 3000/2، عنان: دولة الإسلام، 142/4، أنظر الملحق رقم (1)

النفوذ المريني في غرناطة بأن " أغفل [...] هذه الخطة من دولته ومحا رسمها من ملكه وصار أمر الغزاة المجاهدين إليه ويباشر أحوالهم بنفسه وعمهم بنظره "(1)، وبهذا غادر آخر شيوخ الغزاة من بني مرين الأندلس إلى المغرب سنة 774هـ/1374م، وبهذا انتهت رياسة بني مرين لهذه الخطة الهامة بعد أن قاموا بها ما يقارب القرن من الزمن(2).

بالإضافة إلى الأسباب السياسية السابقة التي أحاطت بظروف محو خطة مشيخة الغزاة من الخطط الغرناطية تضاف أسباب أخرى خارجية خاصة منها المتعلقة بالممالك النصرانية التي كانت مشغولة بأمورها الداخلية حيث نشبت نزاعات شديدة حول العرش وولجت في حروب أهلية طويلة(3)، فدخلت نتيجة ذلك مملكة غرناطة في فترة سلم طويلة ، وأصبحت هذه الخطة تشكل عبئاً حقيقياً على المملكة فكان من الضروري إزاحتها ومحوها تماماً(4)، خاصة وقد اشتهر استبداد شيوخ الغزاة على سلاطين بني الأحمر ومقاسمتهم إياهم الجبايات وتدخلهم في شؤون الحكم والإدارة، وما كان احتمال سلاطين بني الأحمر لكل هذا سوى لدرايتهم بفعالية هذه الخطة وتفانيها في جهاد النصارى ورد عدوانهم، ولما هدأت الأمور في الجبهة النصرانية استغل سلطان بني الأحمر محمد الغني بالله الفرصة وأنهى مهام شيوخ الغزاة المرينيين وأدمج القوات المغربية في الجيش النصري وجعل القيادة بيد أبنائه(5).

لكن المصادر القشتالية تخبرنا عن رجل اسمه محمد بن عثمان الأعرج EL COJO وهو من نسل عثمان بن أبي العلاء، وهذا في الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، كان شيخاً للغزاة في المرية وأنه ثار على السلطان النصري محمد الأيسر وأنه سيطر على العرش وشارك في معركة الشجرة سنة 835هـ/ 1431م ضد النصارى وقد تقدم الفرق العسكرية المغربية، وهذا ما يدل على استمرار هذا المنصب

---

(1) ابن خلدون: العبر، 3001/2

(2) المصدر نفسه، 2967/2

(3) الطوخي: المرجع السابق، 42

(4) ابن خلدون: العبر، 2999/2

(5) أرسلان شكيب: المرجع السابق، 171

ولو على نطاق ضيق(1).

كانت خطــة مشيخة الغزاة ربما ضحية للظروف السياسيـة والعسكرية السـائدة فـي تلك الفترة، من انقلاب الموازين من كفة بني مرين إلى كفة بنــي الأحمر، وكذلك انشغال الممالك الإسبانية بأمورها الداخلية،وهـو ما أشاع الاعتقاد بانتفاء الحاجة إلى الجنود المغاربة وتنظيمهم العسكري هـذا، زد إلــى ذلك تدخل هـذا التنظيم فــي أمور هــي بعيدة كل البعد عن مهامه الأساسية، التــي وجد مــن أجلها، فساعد هذا علــى الحــد مـن سلطتهم ونفـوذهم وهــو مــا سهل عملية إنهاء مهامهم ومحـو خطتهم، بعـد أن قاموا بها أحسن القيام وكان لهم في ذلك مواقف مشهورة.

(1) الطوخي: المرجع السابق،226

الفصل الثالث:

أثر خطة مشيخة الغزاة على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

المبحث الأول:أثر مشيخة الغزاة في دعم العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

أولاً مشيخة الغزاة كأداة لدعم العلاقات الودية

ثانياً الاتفاق النصري المريني ضد مشيخة الغزاة

المبحث الثاني: دور مشيخة الغزاة في هدم العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

أولاً بداية الخلاف النصري المريني والسيطرة على سبتة

ثانياً استعمال شيوخ الغزاة للسيطرة على البلاط المريني

المبحث الثالث: تأثير مشيخة الغزاة على كلتا الدولتين

أولاً في الجانب السياسي

ثانياً في الجانب العسكري

ثالثاً في الجانب الاجتماعي والثقافي

الفصل الثالث:أثر خطة مشيخة الغزاة على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

المبحث الأول: أثر مشيخة الغزاة في دعم العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

أولاً مشيخة الغزاة كأداة لدعم العلاقات الودية:

لم تنقطع الصلة بين ضفتي المضيق، منذ فتح المسلمون أرض الأندلس، وتفاوتت هذه الصلة والعلاقة بين التأثير والتأثر، واستمرت بين مد وجزر، وعقب أفول نجم الموحدين وظهور دول جديدة على أنقاض دولتهم، فاستقر بنو الأحمر في الأندلس و في مقابلهم بالمغرب الأقصى ورثتهم دولة بني مرين الزناتية.

استمرت العلاقة بين هذين الممثلين لطرفي المضيق، كما كان في عهد الدول السابقة لهم، ولم تكن العلاقة في مجملها علاقة تأثير من المغرب وتأثر من غرناطة أو العكس، بل كانت الصلة كاملة تأثيراً وتأثراً متبادلاً، لكن غلب عليها طابع الجهاد نظراً للظروف السائدة من تهافت الممالك الإسبانية على اقتطاع ما يقدرون عليه من أراضي المسلمين، هذه العلاقة تجسدت خاصة في العون المريني ووجوده بالأندلس(1)، وتباينت طبيعة العلاقات المرينية النصرية بين الود والخلاف،كما تعددت مظاهر ومعالم هذه العلاقات والأطراف المتحكمة فيها.

كان من أبرز مظاهر التفاهم والود في العلاقات النصرية المرينية هو إسناد قيادة المجاهدين و المتطوعين من المغاربة إلى واحد من أسرة بني مرين ومن أقارب السلطان المريني نفسه في خطة جديدة وهي خطة مشيخة الغزاة(2).

لقد كانت مشيخة الغزاة ثمرة الوفاق والتفاهم بين سلطان بني مرين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وسلطان بني الأحمر محمد الفقيه، وهذا إثر الحملات التي قادها أبو يوسف في الأندلس(3) وتم الاتفاق بين الدولتين على إقامة هذه الخطة وبهذه المواصفات(4).

---

(1) ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف: نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1967، 38

(2) ابن الخطيب: كناسة الدكان ، 21

(3) الحريري: المرجع السابق، 228

(4) المقري: نفح الطيب، 452/1

كما كان منصب شيخ الغزاة، بمثابة المؤشر على مدى الوفاق أو الخلاف بين بلاط فاس وبلاط غرناطة، فمثلاً بعد الهزيمة الكبيرة التي مني بها جيش المسلمين من أندلسيين و مغاربة في معركة طريف سنة 741هـ/1340م، ورغم ما جرَّته من مشاكل عند بني مرين،فالعلاقات النصرية المرينية لم تتأثر كثيراً، فقد أبقى السلطان النصري أبو الحجاج يوسف على تقليد رئاسة الجند المغربي عند بني أبي العلاء كإشارة على استمرار الوفاق بين الدولتين، رغم الأزمة التي لحقت بالنظام المريني جراء الهزيمة(1).

من بين مظاهر حسن الصلة بين دولتي بني مرين وبني الأحمر، كثرة الرسل والرسائل والهدايا المتبادلة، حيث كثرت وتعددت السفارات بين الدولتين، خاصة فيما يتعلق بأمور الجهاد وطلب العون والمصالحة وحتى المصاهرة(2)، كان لشيوخ الغزاة نصيب ووجود بهذه السفارات، فهذا شيخ الغزاة أبو زكريا يحيى بن رحو يكلفه السلطان النصري أبو الحجاج يوسف بترؤس سفارة نصرية وبتسليم رسالة للسلطان المريني أبي عنان فارس، تتضمن تنويهاً بجهود هذا الأخير نحو الأندلس في إمدادها بالمعونات من أسلحة ورجال، وقد تم الاستعانة بشيخ الغزاة لرئاسة هذه السفارة لمكانته في البلاط المريني، باعتباره من أقرباء السلطان المريني نفسه وكذلك لخبرته بالأمور العسكرية التي احتوتها الرسالة(3).

كما شارك شيوخ الغزاة في الوفود التي انطلقت نحو بني مرين لطلب العون، و هو ما حصل مع شيخ الغزاة عامر بن عثمان بن أبي العلاء، حيث شارك في الوفد الذي قاده السلطان النصري محمد الرابع المتوجه نحو المغرب وسلطانه المريني أبو الحسن وهذا لطلب العون لإنقاذ جبل الفتح من عدوان النصارى وكان هذا سنة 732هـ/1332م(4).

---

(1) ابن الخطيب: كناسة الدكان ،26

(2) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان ، 39

(3) ابن الخطيب: كناسة الدكان، 141، 143، أنظر الملحق رقم (3)

(4) ابن الخطيب: أعمال الأعمال، 297، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط1، 1985، 324/7

لقـد سبق وعرفنا أن الهدف الأساسـي مــن إنشاء مشيخة الغزاة، كــان هــو جهاد النصارى وصد هجماتهم علـــى مملكة غرناطة، لكـن بحكم مكانة هــذه الخطــة لدى بـلاط غرناطة وبلاط فاس على السواء، فقد استغلت لدعم العلاقات بين البلاطين، هذا الدعم لم يكن دبلوماسياً فقط بل تعداه إلى الجانب العسكري وليس في الأندلس بل فـي المغرب نفسه، فأثناء حصار بني مرين لمدينة تلمسان ، وعندما قدم على السلطان المرينـي أبي يعقوب يوسف وفد أندلســي مــن ِقبل السلطان النصري محمد المخلوع، طلب أبو يعقوب مــن هؤلاء المبعوثين الدعم فـــي حصاره هــذا "بجنود الأندلس وناشبتهم المعودين منازلــة الحصـــون والمنـاغرة بالربط "(1)، وطبعاً كان شطر كبير من هؤلاء الجنود المحترفين من المقاتلين الزناتيين الذين اكتسبوا خبرة في حروبهم، فما كان من السلطان النصري ومحافظة على حسن العلاقة سوى أن أرسل مــا طلب السلطان المريني سنة 702هـ/1302م وقد كان لهؤلاء الجنود الأندلسيين " نكاية في العدو"(2).

ثانياً الاتفاق النصري المريني ضد مشيخة الغزاة:

إن من المفارقات أن تكون مشيخة الغزاة ثمرة الوفاق النصري المرينـــي، وفي نفس الوقت، أن تتفق الدولتان ضـد قادة وسادة هذه الخطة والعمل علــى القضاء عليهم خاصة وقد علا شأنهم وارتقت مرتبتهم، وقــد وصفهم ابن الخطيب علــى أنهم " عصابــة بـأسها شديـد، اشتهروا فروسية ونجدة وأتباعاً "(3).

وقد مهدت الظروف السياسية والعسكرية آنذاك هــذا الأمر، كما عملت عدة أحداث على لتحييد شيوخ هذه الخطة و إبعادهم عن هذا المنصب، و قـد بدأ كل هذا بعد الوفاق الذي حدث بين السلطان المرينــي أبـي الحسن و السلطان النصري محمد بـــن إسماعيل بن فرج، فهـذا الوفاق رآه بنو أبــي العلاء رؤساء الجنـــد المغربـي تهديداً مباشراً لهم، خاصة وأنهـم صــاروا أعداءً للدولتين؛ فــالبنسبة للمغرب فبثــوراتهم المتكـررة وطمعهــم فــي عــرش

(1) ابن خلدون: العبر، 2876/2

(2) المصدر نفسه،2876/2

(3) ابن الخطيب: الإحاطة ،49/4

بني مرين ، وبـــالنسبة للأندلس فباستبدادهم علـــى سلاطين بني الأحمر ومزاحمتهم إياهم(1)، لكن ما زاد الطين بلة هو تحرك بنـــي أبـــي العلاء ورئيسهم عـــامر بـن عثمان لأخذ الأمور بأيديهم والعمـل علـــى الحد مـن الخطر الذي يتهددهم(2)، فقاموا بقتل السلطان النصري محمد بن إسماعيـل عند رجوعه مـــن معركة استرجاع جبل الفتح، وقدَّموا أخاه أبا الحجاج يوسف مكانه، هذا الأخير لم ينس صنيعهم بأبيه وقرر الثأر له(3).

جاءت الفرصة المناسبة للسلطان أبي الحجاج، للقضاء على بني أبي العلاء عند علمه بقرار السلطان المريني أبي الحسن العبور إلـــى الأندلس بغرض الجهـــاد، وتقوية الحاميـــات المغربية بها(4)، وكان أبو الحسن كذلك ينوي إبعاد بني أبي العلاء عن الأندلس حيث " داخل ابن الأحمر فـــي إزاحتهم عـــن الأندلس مكـــان جهاده فصادف ذلـــك إسعافاً وقبولاً وحرصاً علـــى ذلك " (5)، وتـعود كـــراهية السلطان المرينـــي أبـــو الحسن لبنـــي أبـــي العـلاء حسب ابن مرزوق إلـى عدة أسباب حيث " كان من بنـــي أبـــي العلاء بنـــي عمه القاطنين بالأندلس من النفرة عنه وعدم القيام بواجب حقـــه للمناوأة والتطلع لمـــا لـم يبلغوه مااستقر فـــي النفوس واستفاض وظهرت عليهم غير مرة شواهده "(6).

أمام هذا الاتفاق النصري المرينـــي علـى ضرورة إزاحة بني أبي العلاء شيوخ الغزاة وكسر شوكتهم، تمهيداً لعبور السلطان أبـــي الحسن إلـــى الأندلس، بدأ العمل على ذلك بنزول أبـــي الحسن ساحل الأندلس وعبوره نحو طريف؛ فكان لابـد للسلطان النصري أبـــي الحجاج أن يسرع فـــي نكبتهم، حيـــث استدعاهم فـــي التاسع و العشرين مـــن شهر ربيع الأول سنـــة 741هـ/1340م و" قعـد لهم السلطان علـــى عـــادته، ووجـــه عنهم فـــي غرض الاستشـــــارة

---

(1) السلاوي: المصدر السابق، 59/2

(2) ابن الخطيب: الإحاطة ، 49/4

(3) السلاوي: المصدر السابق، 59/2

(4) ابن خلدون: العبر، 2905/2

(5) المصدر نفسه،2996/2

(6) ابن مرزوق: المصدر السابق، 205

في حال السفر إلى إمداد ملك المغرب وقد عبر ونازل جزيرة طريف "(1)، لكن أبا الحجاج كان ينوي في مجلسه هذا الغدر بهم ، خاصة وقد بدأ في عدِّ أخطائهم و تذكيرهم بها ولومهم عليها " ثم قام السلطان من مجلسه وثارت بهم الرجال فأحيط بهم ونزعت سيوفهم من عواتقهم وطارت الخيل في ضم من شذ عنهم وتقبض على طائفة من أعلامهم "(2)، ولم يكتف السلطان النصري بمن وجد منهم بغرناطة بل أرسل من تتبعهم في المدن الأندلسية الأخرى خاصة منها مالقة، وقام باعتقال جميع القادة والرؤساء المغاربة(3)، حيث قبض على شيخ الغزاة أبي ثابت عامر بن إدريس وإخوته إدريس ومنصور وسلطان وفرَّ من الإخوة سليمان، ولجأ إلى ملك قشتالة ،وتم إيداع الجميع سجن المطبق ثم غربوا إلى إفريقية(4) ونزلوا عند السلطان الحفصي أبي يحيى، لكن مقامهم لم يدم طويلاً عند بني حفص، حيث استدعاهم السلطان المريني أبو الحسن " فألحقهم بعداد خواص قبيله وقرابته "(5).

المبحث الثاني: أثر مشيخة الغزاة في هدم العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

أولاً بداية الخلاف النصري المريني والسيطرة على سبتة:

امتازت العلاقات النصرية المرينية بالتقلب بين الاتفاق أحياناً والاختلاف أحياناً أخرى، ويعود ذلك في العموم إلى الظروف السياسية والعسكرية السائدة في كلتا الدولتين، وقد تدخلت في تحديد طبيعة هذه العلاقة عدة أطراف ، كان من أهمها مشيخة الغزاة، التي وكما ساهمت في دعم العلاقات وتحسينها، فقد كان لها دور في توتيرها أيضاً بل وهدمها، وقد بدأ هذا التدخل السلبي في علاقات الدولتين مبكراً ففي سنة 684هـ/1285م

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ،49/4

(2) المصدر نفسه،50/4

(3) المصدر نفسه، 50/4

(4) ابن خلدون: العبر، 2996/2

(5) ابن مرزوق: المصدر السابق، 205-206 يذكر ابن مرزوق أن بني أبي العلاء هم من طلب اللحاق بالسلطان أبي الحسن عكس ما ذكره ابن خلدون الذي يؤكد استدعاء أبي الحسن إياهم لحاجته إليهم، ابن خلدون: العبر، 2905/2

وعندما استعرت الفتنة بين أبـي يوسف يعقوب سلطان بني مرين، والسلطان النصري محمد الفقيه، كان لشيخ الغزاة موسـى بن رحو يـد فـي تفاقم الأزمة، حيث لمـا اتجـه ابن السلطان المريني منديل بن يعقوب بـن عبد الحق للاستيلاء علـى مدينة سهيل " برز إليه الجيش لنظر موسـى بن رحو من قرابـة النازعين عن إيالة المغرب من بنـي رحو، وكان اللقاء، فوقعت الدبرة وانهزم جيشـه وقبض عليـه وسيق إلـى السلطان فتلقاه بالبر، ورعـى ما لبيتـه الكبير من الحق وأسكنه مجاوراً لقصره بالحمراء "(1).

رغم انفراج هذه الأزمة وعودة العلاقات إلـى الصفاء والحال إلى الاتفاق، إلا أنه لم يدم طويلاً، حيث ستعرف هـذه العلاقات نكسة كبيـرة لـم يسبق لها مثيل، وهـو مـا سيوتـر العلاقات الثنائية فترة طويلة، وسيكون لمشيخة الغزاة وقادتها دور كبير فـي هـذا التوتر، هذا الحدث هو استيلاء بني الأحمر على مدينة سبتة المرينية.

ففـي عهـد محمـد الثالث المخلوع عرفت العلاقـات النصرية المرينية محاولات لتحسينها ودعمـها، خـاصة مـع إرسـال الوفـود والبعثات الدبلوماسية، وحتـى المساعدات العسكرية فـي الاتجاهين، لكـن هـذه الحالة لـم تستمر بل عرفت اضطراباً ، بالخصوص محاولات السلطـان النصري إعادة علاقاته مع ملك قشتالة(2)، بـل تجاوز الخلاف إلـى حـد القيام بأعمال عدوانية، حيث أوعز السلطان النصري إلـى عمـه وصهره الرئيس أبـي سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة بـأن يحرض أهـل سبتة ضـد السلطان المرينـي وأن يستعد وبكل الطرق للغدر بأهـل سبتة والعمل علـى الاستيلاء عليها(3)، وهو ما بدأ العمل من أجله فوراً، حيث شـرع الرئيس أبو سعيد فـي إنشاء السفن والمراكب البحريـة وتجهيز الأسطـول واستنفار الجنـود، وانطلـق وبكـل سرية فـي شحـن السفـن بالرجال والفرسـان والأقوات "وأخفـى وجه قصده عـن الناس حتـى أقلعت أساطيله "(4)، وادعـى أن الحملة إنما أعدت

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ،3/208-209

(2) السلاوي: المصدر السابق، 40/2

(3) السلاوي: المصدر السابق40/2، عنان:دولة الإسلام ،4/112-113

(4) ابن خلدون: العبر، 2876/2

لمواجهة النصارى وقام بتوجيهها فجأة إلـى سبتة(1)، وكانت قيـادة هـذه الحملـة بقيادة شيخ غزاة مالقة والمناطق الغربية عثمان بن أبي العلاء الذي قُدم لهذا الأمر(2).

بهـذا وفـي شهر شوال مـن سنة 705هـ/1307م اتجهت الحملـة النصرية نحـو شواطـئ سبتة بالمغرب الأقصـى وبتواطيء مـن صاحب قصبتها الذي فتح الأبواب وأدخل القوات النصرية إلـى الحصن، فتمت السيطرة عليه ورفع الرئيس أبو سعيد رايته على أسوار القصبـة وسرَّب جيـوشه داخـل المدينة للاستيلاء عـليها، كمـا انطلقت القوات النصرية نحو مراكز حكام المدينة بني العزفي وقُبض علـى رئيسهم(3) وبنيه وحاشيتـه وتم نفيهم إلى مالقة بالأندلس(4) وتمت مصـادرة جميـع أموالهم والاستيلاء علـى الخزائن والذخائر ونقلها أيضاً إلى الأندلس(5).

وقـد حاول السلطان المرينـي أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق استعادة المدينـة واستغرب مثـل هـذا الاعتداء غيـر المبرر خاصة وأنـه كـان مشغولاً بحصـاره لتلمسان(6)، فأرسل ابنـه إبراهيم فـي جيش كبيـر لاسترجـاع المدينة وقـد حشد لذلك قبائل الريـف وبـلاد تازة(7)، فقـام هـذا الجيش بمحاصرة المدينة مـدة طويلة لكـن احتـال القائـد العسكري للحملـة شيـخ الغـزاة عثمان بن أبـي العلاء واستطـاع أن يهزم هـذا الجمع فرُفع الحصار وعاد جيش أبي يعقوب خائباً(8).

لـم يكتف ابن أبـي العلاء بمحله فـي سبتة بل نجده يعمل لأجـل إثارة القلاقل

---

(1) عنان: دولة الإسلام، 113/4

(2) ابن خلدون: العبر، 2994/2

(3) كان حاكم المدينة آنذاك هو أبو طالب عبد الله بن الرئيس أبي القاسم بن أبي العباس العزفي(ابن الخطيب: اللمحة، 72)

(4) ابن خلدون: العبر، 2876/2

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 388، ابن الخطيب: اللمحة، 72

(6) ابن الخطيب: اللمحة، 72

(7) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 388

(8) ابن خلدون: العبر، 2877/2

والإغارة علـى العديـد من جهات المغرب الأخرى مـن أصيلا إلـى العرائش وغيـرها(1)، واستغل حادثة اغتيال السلطان المرينـي أبـي يعقوب أثناء حصـار تلمسان ونشوب صراع مسلح بين ولديه وزاد مـن وتيرة أعماله واستفحل أمره وأصبح يشكـل تهديداً حقيقياً لدولـة بني مرين(2).

غير أن بنـي مرين لـم يستسلموا للأمر الواقع، فبعـد أن استتب الأمـر للسلطان أبـي ثابت سيَّر حملة ضخمة ضد ابن أبـي العلاء الذي انسحب إلـى سبتة بعد أن عاث فساداً فـي كل مناطق المغرب التـي مرَّ بها، وتحصن بالمدينة حيث ضرب السلطان عليها حصاراً شديداً بل قام ببناء مدينة بجوارها هـي تيطوان وأرسل إلـى سلطان بني الأحمر بأن يتخلى له عن المدينة صلحاً، لكن الموت عاجلـه ولم يتم عمله(3)، وقـد حاول ابن أبـي العلاء استغلال هذه الفرصة فخرج من المدينة فـي محاولة لضرب جيش بني مرين المضطرب لكن السلطان الجديد أبو الربيع استطاع أن يصد هذا الهجوم و يوقع بابن أبي العلاء خسائـر معتبـرة وذلك سنة 708هـ/1308م(4).

في السنة الموالية استغل سلطان بني مرين تذمر أهل سبتة من ملك بنـي الأحمر وثقَل ولايتهم خاصة بعد مغادرة عثمان بن أبـي العلاء إلـى الأندلس لتولـي منصبه الجديد كشيـخ للغزاة بالعـاصمة غرناطة، فـجهز السلطـان أبـو الربيع جيشـاً كبيراً بقيـادة تاشفين بن يعقوب الوطاسي وسيره نحو سبتة وبوصـول أخبار هـذا الزحف لأسمـاع أهلها ثـاروا بقيادة أشياخها وتنادوا بشعار بنـي مرين وفتكوا بحـامية بنـي الأحمر وأخرجوهم من المدينة واقتحم الجيش المرينـي مدينة سبتة سنة 709هـ/1309م وتم القبض علـى قائد القصبة وقائد الحـرب أبـي الحسن بـن كماشة وعلـى قـائد عسكري هـو عمر بـن رحو بـن عبـد الله بن عبد الحق من قرابة عثمان بن أبي العلاء وتم إعادة المدينة إلـى حظيرة بن مرين(5).

---

(1) ابن خلدون: العبر ، 2994/2، السلاوي: المصدر السابق، 40/2

(2) عنان: دولة الإسلام، 114/4

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 392

(4) المصدر نفسه، 393

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ،393 ، السلاوي: المصدر السابق، 48/2-49

وبهذا انتهت هذه الأزمة التي ألقت بظلالها القاتمة على العلاقات النصرية المرينية والتي أثرت بدورها على حجم المساعدات المرينية لبني الأحمر فيما يتعلق بجهاد نصارى الأندلس، وقد مُنِعت هذه المساعدات حتى يُسلَّم أخطر رجل هدد بني مرين في ديارهم وهو شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء، وظلت هذه العلاقات تراوح مكانها إلى غاية وفاة عثمان بن أبي العلاء وعبور السلطان النصري محمد الرابع إلى المغرب لطلب العون من السلطان المريني أبو الحسن ، وتم إعادة العلاقات إلى سابق عهدها من الوفاق والتفاهم(1).

ثانياً استعمال شيوخ الغزاة للسيطرة على البلاط المريني:

لقد كان الصراع الداخلي المريني المبني على حب الزعامة ومحاولة الوصول إلى العرش عاملاً رئيسياً في تدهور أحوال الدولة المرينية و ضعفها، وبالطبع لم يقف بنو الأحمر من هذا الوضع موقف المتفرج، بل استغل سلطانهم الغني بالله هذا الخلاف وعمل على تعميقه وتأجيجه لتحقيق مصالحه وخدمتها(2)، وقد استعمل في سبيل ذلك أداة طيعة ويسهل قيادتها وتوجيهها وكانت تحت يده يستغلها إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وهم الأبناء المرشحون لتولي الحكم في الدولة المرينية والموجودون تحت رعايته، حيث يقوم الغني بالله بدفع هذه الشخصيات إلى المغرب ويقوم بمساندتها بالمال والرجال والسلاح للاستيلاء على زمام دولة بني مرين، وقد بالغ هذا السلطان النصري في الحرص والاعتناء بهذه الشخصيات حتى أنه أدرج في معاهداته مع مملكة أراغون بنداً خاصاً بهم، ويتضمن حرية التصرف المخولة لبني الأحمر في الأراضي المغربية التي تحوزها وكذلك الأشخاص(3).

وقد كان الغني بالله على دراية واسعة بكل نقاط ضعف النظام المريني وما يعانيه من أزمات ومشاكل لكونه عاش بالبلاط المريني مدة ليست بالبسيطة أثناء نفيه بالمغرب(4).

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 297

(2) الحريري: المرجع السابق، 174

(3) المرجع نفسه، 233

(4) مجهول: الحلل الموشية، 6

ويعود الإصرار النصري للتدخل في الشؤون المغربية بعد رفض سلطان بني مرين ووزراؤه ورجال دولته تسليم الوزير النصري لسان الديــن بن الخطيب اللاجئ لديهم، وهـذا رغم الإلحاح والتكرار الشديـد، لهـذا قرر السلطــان النصري الفتك بــابن الخطيب والانتقام من حماته، وقد استعمل كـل الوسائل المتاحة لتحقيق هـذا الهدف، ولعل أهمها كانت استغلال الشخصيات المرينية الموجودة في كفالته، وعلــى رأسهم شيوخ الغزاة، وكــان من تولـى هذا العمل شيخ الغزاة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن(1).

وكان عبد الرحمن بن علي بن عمر بن السلطان أبي سعيد بن أبي يفلوسن،غير راض علــى الوضع القائم فــي المغرب وهـذا جراء استبعاده عــن الحكم والنفـوذ فـــي منطقة أبيه سجلماسة(2)، وأمــام الفوضـــى العارمة التـــي أصبح يعيشها المغرب جراء وفــاة السلطـان عبـد العزيـز(3) وتولي الوزير أبو بكر بن غازي أمور الإدارة حيث " أظلم الجو بين صاحب الأندلس وبـين القائم بالدولة " (4)، وبهذا أطلق الغني بالله الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن صحبـة الوزير المريني اللاجئ عنده ابن ماساي لطلب الملك بالمغرب، وتحالف معهم الأمير أبو العباس أحمد الطامع بدوره في عرش بنــي مرين، فعمل الغنــي بالله علــى توثيق العلاقة بين الطرفين وأمدهم بالجنود من الأندلس(5).

وكـان هذا الجيش الأندلسي مكوناً مــن الغزاة المجــاهدين يقودهم سليمان بـن عثمان بن أبــي العلاء، وكذلك مـن الجنود الأندلسيين الناشبة المتخصصين فــي حصار المدن وكان عددهم ينــاهز السبعمائة(6)، فحاصروا فاس واستطــاعوا خلع السلطــان أبــي زيـان وبــويع أبو العبــاس سلطاناً جديداً علــى بنــي مرين وولـــي ابن أبــي يفلوسن علــى مراكش عوض سجلماسة، واستحكمت المودة بيــن بلاط فاس وبلاط غرناطة كمــا لــم تكن مــن قبل وصار

(1) مجهول: الحلل الموشية، 6

(2) المصدر نفسه، 6

(3) عبد العزيز بن عبد أبــي الحسن أبو فارس، بويع له سنة 767هـ/1365م، وتوفي سنة 774هـ/1372م، ولـه من الولد محمد وعبد الله ومحمد السعيــد، واستوزر العديد مــن بينهم ابن منديل،وأبو بكر بن غازي، وقــد غزا تلمسان(ابن الأحمر: روضة النسرين، 43-44، ابن خلدون: العبر،2959/2)

(4) ابن خلدون: العبر، 3000/2

(5) السلاوي: المصدر السابق،133/2

(6) ابن خلدون: العبر، 2968/2

الغنـــي بالله بالنسبة للمرينيين المرجع الأساســـي فـــي كل مـا ينقضون ويعقدون(1)، بل كان الغني بالله يعطي الأوامر ويغضب إذا تأخر تنفيذها(2).

وصار هذا السلطان النصري يتحكم في الدولة المرينية و"أصبح المغرب كأنه بعض أعمال الأندلس "(3)، وجراء كل مـا سبق انقسم المغرب إلـى دولتين الأولـى عاصمتها فاس والثانية عاصمتها مراكش يفصل بينهمـا وادي ملوية(4)، ونجد أن الأمير عبـد الرحمـن بن أبـي يفلوسن وحتـى يحقق غرضه يلجأ إلى ألد أعداء بنـي مرين وهم بنو عبد الواد ويطلب منهم المساعدة لتثبيت حكمه والقضاء على خصومه(5).

وبـهذا كـانت مشيخة الغزاة قـادة وعنـاصـر أداة استعملها الغنـي بالله للسيطرة على دولة بني مرين في واحدة من أحلك الفترات التـي عاشتها العلاقات بين الدولتين ودفعت هذه الخطة الثمن غالياً حيث كانت النتيجة هي محوها والقضاء عليها.

المبحث الثالث: تأثير مشيخة الغزاة على كلتا الدولتين

أولاً في الجانب السياسي:

رغم المكانة الكبيرة التي حظيت مشيخة الغزاة في دولة بنـي الأحمر نظير أعمالها الجهادية ضد النصارى، وجهود شيوخ الغزاة فـي ميـادين القتال، إلا أنهم فـي نفـس الوقت شكلـوا خطراً حقيقياً علـى العرش الغرناطي خاصـة وقـد كانت تحذوا الكثير منهم أطمـاع سياسية حتـى أنهم تحكموا فـي عزل وتعيين رجال الدولة بالخصوص الوزراء، وقـد كـان الصراع بين شيوخ الغزاة ووزراء الدولة النصرية سبباً مـن أسبـاب ضعـف مملكة غرناطة وأدخلها فـي نزاعـات كـانت فـي غنى عنها، ولعل أهم هذه الصراعات تلك التـي حدثت بين شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء والوزير محمد بن أحمد بن المحروق في عهد السلطان النصري محمد الرابع(6).

(1) السلاوي: المصدر السابق،134/2

(2) TERRASSE : histoire du Maroc, Op Cit, 2/89

(3) السلاوي: المصدر السابق،134/2

(4) ابن خلدون: العبر، 3000/2 -3001

(5) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 131/2، 160

(6) الطوخي: المرجع السابق،180، 228

كان وصول هذا الوزير إلـى منصبه نتيجة تدخل شيخ الغزاة عثمان بن أبـي العلاء نفسه الذي أوصله إلـى " أذوار دنياه "(1)، لكن هذا الوزير أراد أن يستأثر بالسلطان الصبـي وفـي نفس الوقت أخذ يعمل من أجل كبح جماح شيخ الغزاة الذي استبد بالأمر واستأثر بكثير من أموال الجباية، فأراد هذا الوزير أن يحـد من سلطـة شيخ الغزاة وبكل الوسـائل، فانهار الود الذي كـان بين الرجليـن وخرج بن أبـي العلاء مغاضباً فـي جماعتـه واعتصم بمرج غرناطة سنة 727هـ/ 1327م، ونصب خيامه به، فانتهز ابـن محروق الفرصة وعيَّـن شيخاً جديداً للغزاة بديلاً لابن أبـي العلاء هو منـافسه الحقيقي يحيـى بن رحو بن عبد الحق، هذا التعيين زاد في تفاقم الأزمة وإصرار ابن أبي العلاء على استرجاع منصبه ومكانته(2).

فكان الإجراء الذي قام به ابن أبي العلاء، بأن ارتحل فـي أهله وأنصاره إلـى ساحل المرية متظاهراً بـأنه يريـد الانصراف إلـى المغرب، لكنـه كـان ينوي عكس ذلك ،حيث استطاع أن يسيطر علـى حصن أندرش(3) الذي دخل فـي طاعته وتمكن من ضم كل المناطق المجاورة لـه واستولـى علـى الأموال الموجودة هناك بـل راح يخطط لقلب النظام النصري باستدعاء الأمير أبـو سعيد ليجعلـه منافساً للسلطان النصري نفسـه(4)، وقـامت بيـن القوات الزناتية وجيش حضرة غرناطة عدة وقائع لم تسفر عن أي انتصار لأحد الطرفين(5).

أضرت هذه الفتنة بالدولة كثيراً وكـان لابد من الوصول إلـى حل يرضي المتنافسين فتم تبادل الرسائل والوصول فـي النهاية إلى هدنة، وقام السلطان بالإيقاع بوزيره وتم اغتياله من قبل بعض مماليكه حيث " تناولاه بالخناجر، ورمـى نفسه فـي صهريج الدار، ومـا زالا يتعاورانه من كل جانب حتى فارق الحياة "(6).

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ، 79/2

(2) ابن خلدون: العبر ، 2995/2

(3) هو حصن من أعمال المرية وهـو من أنزه البلدان بـه أنهار وبساتين، وكان في عهد بني الأحمر مركزاً لحفظ الأموال المخصصة للجهـاد والجباية فهـي " عنصر جباية" (الحميري: المصدر السابق،42 ، ابن الخطيب: الإحاطة ، 309/1 ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، نح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، د ط ، 2002، 112، 113)

(4) ابن الخطيب: الإحاطة ، 309/1، ابن الخطيب: اللمحة ، 95

(5) ابن الخطيب: اللمحة، 95

(6) ابن الخطيب: الإحاطة ، 79/2

وعاد السلطان إلى إدارة شؤون دولته بنفسه ، وأعاد عثمان بن أبي العلاء إلى مكانته ومنصبه كشيخ للغزاة وانتهت هـذه الأزمة كمـا بدأت، حيث ترسخـت سلطـة شيوخ الغزاة أكثر فأكثر(1).

استمرت الأزمة بين شيوخ الغزاة والوزراء، مرات عديـدة لكن لم تكن دائماً لصـالح شيوخ الغزاة، حيث استطاع بعض الوزراء التفوق والحد مـن سلطـات هـؤلاء العسكريين من بينهم الوزير لسـان الدين بن الخطيب، حيث قام الغنـي بالله سنة 763هـ/1362م بتعيين يحيـى بن عمر رئيساً للجنـد المغربـي وأعـاد ما كـان لهم مـن السلطـة والسطوة، لكن ابـن الخطيب استطـاع أن يغري السلطـان بهم ويحرضـه عليهم فقـام بالقبض عليهم سنـة 764هـ/1363م وأودعهم سجن المطبق، بل قام بنفي يحيى بن عمر إلى المشرق(2).

لـم تقتصر منافسة شيوخ الغزاة لمنصب الوزارة بـل تعـداه إلـى منـاصب أعلـى إلـى السلطان نفسه، وقد بدأ هذا التدخل فـي عهد السلطان أبي الجيوش نصر بن محمد، الذي تولـى الحكم سنة 708هـ/1308م بعد اعتقال أخيـه محمد المخلوع، وقـد أسـاء هذا السلطان السيرة وولّد لدى العامة ولدى الغزاة المغاربـة سخطاً كبيـراً وهو مـا خلق جواً مـن التمرد والثـورة، وقد تدخل الغزاة فـي هذا الوضع ، حيث قام شيخهم فـي مدينة مالقة عثمان بن أبي العلاء بالتدبير لخلع السلطان أبـي الجيوش عن طريق ابن والـي مالقة أبو الوليد إسماعيل ، وهو ما تم فعلاً حيث تم عزل السلطان نصر وتعيين السلطان أبـي الوليد إسماعيل بن عثمان بعد ثورة شعبية عرفتها العاصمة غرناطة(3).

غير أن الغزاة المغاربة وشيوخهم لـم يكتفوا بعـزل السلطـان أو اعتقاله واستبداله بغيره ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث تجرأوا علـى قتل السلطان والمجـيء بآخر وهـو ما حدث مع السلطان محمد بـن إسماعيل(4) الذي راح ضحية لتآمر رؤسـاء الجند المغربـي ضده،وبدأت الوحشة بين الطرفين إثر عبور السلطان محمد بن إسماعيل إلى المغرب ووفوده

---

(1) ابن خلدون: العبر، 1562/1

(2) المصدر نفسه، 2997/2

(3) ابن خلدون: العبر ،1561/1 ، الطوخي: المرجع السابق، 228

(4) وصفه ابن الخطيب بقوله: " وكان فتى وأي فتى، آية الله في أحكام ركوب الخيل والقيام بمعاناة الفروسية وله آثار في العدو كبيرة "، ابن الخطيب: رقم الحلل، 118

علــى السلطان المرينــي أبي الحسن لطلب المساعدة ضد النصارى، وقد نجحت هذه السفارة فــي جلب المساعدة المرينية وأعـادت العلاقات النصرية المرينية إلـــى الـود السابق(1)، هذا الاتفاق لـم يرض شيوخ الغزاة الذيــن اتهموا السلطــان النصري بــالتآمر ضــدهم بمسـاعدة السلطان المريني " فتنكروا وأجمعوا الفتك به "(2)

وقـد اختار شيوخ الغزاة الوقت المناسب للقيام بعملهم هذا، فبعد معركة استرجاع جبل الفتح من النصارى بمساعدة الأمير أبــي مالك بن السلطان أبــي الحسن والنجـاح الكبير الذي حقق فـي هذه الغزوة(3) أراد السلطان النصري العودة بجنده إلى غرناطة وفــي الطريق كمن لــه المتآمرون واستطـاعوا الإحاطة به، وهناك قاموا بمعاتبته وتأنيبه، فبدأوا بقتل وكيله أولاً ثم انطلق بعض الجنود وقاموا بطعنه وأجهز عليه أحد مماليك أبيه فقضي عليه "وتركوه

بالعراء مسلوب الساتر، سـيء المصرع "(4)، وبسرعة قاموا باستدعاء أخيـه يوسف وبايعوه سلطاناً جديداً على مملكة بني الأحمر(5).

كما أن خطر الجنــد المغربـــي تعدى كـل ما سبق، ووصل إلـى غاية تهديد أمــن المملكة و سلامة أراضيها، وهـذا بانضمامهم إلـــى صفوف الأعداء، إلى الممالك النصرانية ، فحدث أن قــام السلطان النصري محمد الثــالث بعزل سبعــة آلاف فرد مــن الغزاة المغـاربة وإعادتهم إلـى المغرب بحجة وقوفه علــى الحياد مــن الصراع بين الممالك النصرانية قشتالة وأراغون وبالتالــي عدم جدوى بقـاء أعداد كبيرة من المغاربــة بالأندلس، فما كان من هؤلاء سوى الانضمام إلــى أحد الطرفين المتنازعين وهــو غوزمان الطيــب القشتالي، كما استطاع الملك الأراغوني خايمي الثانــي أن يستميل ابن رحو وأسرته ورفاقه وقــام بمنحهم إقطـاعات بإقليم مرسية(6)، كما كان مقدم إدريس بن عثمان بن أبي العلاء ليلي مشيخة الغزاة من مكان

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 297

(2)) ابن خلدون: العبر، 2995/2، وذكر ابن الخطيب أن سبب الخلاف هو أن سلطان بني الأحمر كان" شره السيف كثير الوعيد " ابن الخطيب، رقم الحلل، 118

(3) المصدر نفسه، 2995/2

(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، 298، الإحاطة ،313/1 ، اللمحة ،97

(5) ابن خلدون: العبر، 2996/2

(6) الطوخي: المرجع السابق، 22

إقامته فـي برشلونة عند ملك أراغون(1). وقـد شارك شيخ آخر للغزاة فـي الحرب ضد بني الأحمر فـي موقعة طريف، إلـى جـانب الملك القشتالي ألفونسو الحادي عشر وهـو إدريس بن عثمان وهـذا إثر خلافه مع السلطان النصري أبي الحجاج يوسف(2)

إذا كان الغزاة المغاربة قاموا بعزل سلاطين وتعيين آخرين، فإنهم في نفس الوقت قد حافظوا علـى بقاء بعضهم وحمايتهم من الثورات التـي كانت تستهدف خلعهم وهـو ما تم فـي عهد السلطان محمد الغنـي بالله وثورة أحـد أقربائه وهـو علـي بن محمد بن نصر سنة 763هـ/1362م فنجد الغني بالله يجهز جيشاً للقضاء على هذه الثورة وكان شيخ الغزاة عثمان بن يحيـى بن عمر هو قـائد هـذا الجيش " كثيف الجملـة، سابغ العدة، مزاح العلـة، وافـر الناشبة"(3)، والذي توجـه للقضاء علـى هـذا التمرد، واستطاع بالفعل إيقاع الهزيمة بالثوار، والقبض على قادتهم(4).

كما عمل شيوخ الغزاة علـى إعادة بعض السلاطين إلـى عروشهم بعـد خلعهم، وهو ما حدث مـع السلطان الغنـي بالله، هذا السلطان التي تعرض إلـى الخلع والعزل من قبل أخيه أبي الوليد إسماعيل وهـذا فـي رمضان سنة 760هـ/1359م، وفـرَّ السلطان المخلوع إلى مدينة وادي آش(5) تمهيدا لعبوره إلى المغرب لاجئاً،وفي هذه المدينة لقي العون من شيخ الغزاة بها علـي بن بدر الدين، حيث قـام هـذا الأخير بتأمين جواز السلطان إلـى المغرب، وأكثر من ذلك رافقه فـي رحلته هذه، ونزل الجميع عند سلطان بنـي مرين أبي سالم(6)، كما التحق بالسلطان المخلوع العديد مـن الأوفياء لـه مـن رجـال دولته مثل وزيره ابن الخطيب و شيـخ غزاته يحيى بن عمر، هذا الأخير الذي التحق به قادماً من قشتالة بعد أن لجأ بها إثر

(1) ابن خلدون: العبر، 2998/2

(2) ابن خلدون: العبر ، 2998 ، الطوخي: المرجع السابق، 229

(3) لسان الدين بن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، ط1 ، 1989 ، 175/3

(4) المصدر نفسه،175/3

(5) وادي آش Guadix مدينة قرب غرناطة، تعتبـر مركزاً لصنع الأسلحـة وتوفر معدن الحديد بها، وهـي كثيرة الجداول والوديـان، أقيمت خلالها طواحين مائيـة، وهـي كثيرة الفواكه (ابن الخطيب: معيار الاختيار، 111 ،الحميري: المصدر السابق،604)

(6) ابن خلدون: العبر، 2999/2

الانقلاب الذي عرفته المملكة(1)،وهذا بعد مطاردته مـن قبل السلطان الجديد الـذي أراد ثنيه عب العبور إلى المغرب (2)، وكـان لهذه الشخصيات الأثر البالغ واليـد الطولى فـي إعادة الغني بالله إلى العرش(3) .

قـام عثمان بن شيخ الغزاة يحيـى بـن عمر بعد أن يـأس من مساعدة ملك قشتالة لسلطانه، بالسعي لدى الوزير عمر بن عبد الله القائم بأمر دولة بني مرين لكـي يسلمهم بعض الثغور المرينية في الأندلس،والتي مازالت علـى الطاعة للسلطـان المخلوع، فانتقل الجميـع إلى مدينة رندة، وقد رافق السلطان النصري في تحركه هذا الزعيمين الزناتيين علي بن بدر الدين وعثمان بن يحيـى، ومن رندة تـم غزو مالقة، ليتقدم الكل نحو العاصمة غرناطة، وكان لهذين القائدين دور هام في تحقيق عودة السلطان الغني بالله إلى عرشه(4).

إن إعانة شيوخ الغزاة لم تقتصر على سلاطين بنـي الأحمر، بل نجدهم يعينون حتى سلاطين بني مرين، وعلـى رأسهم السلطان أبو عنان، الذي استعـان ببنـي أبـي العلاء الذين كانوا معتقلين بمكناسة في عهد أبيه السلطان أبي الحسن حيث " أطلقهم من الاعتقال وأفـاض فيهم الإحسان و العطاء، واستظهر بهم علـى شأنه "(5)، فقام بتقريب رئيسهم أبـي ثابت عامر بن أبي العلاء، وتولى أخاه إدريس مهمة السيطرة على فاس من أنصار أبـي الحسن، بل نجد السلطان أبو عنان يولـي أبـا ثابت مدينة سبتة وبـلاد الريف(6)، وبهـذا يتضح لنا مدى التأثير الكبير لشيوخ الغزاة والعناصر الزناتية في رسم وتكوين المشهد السياسـي لضفتي المضيق.

ثانياً في الجانب العسكري:

لقد كان للجند المغربـي أثره الواضح فـي طرق القتال باعتبارهم قد أدخلوا أنماطاً جديدة فـي ركوب الخيل والقتال مـن عليها، واستعمال الأسلحـة وأسـاليب القتال المختلفـة، وقـد تجسد هـذا الأثر خاصة فـي أهم عنصر يتقن الزناتيون استعماله وهـو ركوب الخيـل،

(1) المقري: نفح الطيب، 100/5

(2) العبادي أحمد مختار: فترة مضطربة في تاريخ غرناطة كما يرويها شاهد عيان، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، عدد 7 ،8 ، مدريد ،1959 -1960

(3) المقري: نفح الطيب، 100/5

(3) ابن خلدون: العبر، 2999/2، المقري: نفح الطيب، 100/5

(4) ابن خلدون: العبر، 2996/2

(5) المصدر نفسه، 2996/2

وقـد أثرت طريقــة امتطائهم للخيل الخاصة بهم، تأثيراً بالغـاً فــي الفرســان الأندلسيين فهذا ابــن الخطيب يمدح الأمير النصري فرج بــن محمد بأنه " زناتــي الشكل والركض والآلــة، عروس الميدان، وحلس الخيل "(1).

كما ساهم وجود الفرسان المغاربــة فــي تغليب آلات الحرب العربية علــى نظيرتها النصرانية عند الجنود الأندلسيين، ونفس الأمر ينطبق على لباس الجند الذين راح الأندلسيون يقلدون فيه إخوانهم من الزناتيين خاصة اتخاذ العمائم والبرانس(3).

لكن التأثير المغربي لم يتوقف عند الجانب الأندلسي بل تعداه إلى الممالك النصرانية التــي أنشــأ حكامها مجموعات خاصة مــن الفرسان تشبه المجموعات الزناتية(4)، ولعل أهم هذه المجموعات فــي إسبانيا النصرانية نظــام الراهبات النصرانيات المحاربات الذي سمــي بسيدات الفأس، وقـد تكوَّن هــذا التنظيم إثــر تصدي نســاء مدينة طرطوشة للمسلمين حيــن محاولتهم استرجـاع المدينة، فتأسس بذلك نظــام للجندية الخاصــة بالنســاء هدفــه محاربــة المسلمين،وقـد اتسع سلطان هذا النظام وانبسطت قوته وصار يخشــاه الملوك وأصبح يستبــد عليهم استبداد غزاة المغرب علــى ملوك غرناطة، وقد انضم هــذا النظام بعد سقوط غرناطة للجيش الملكي النظامي(5).

كما أصبح النصارى يقلدون الفرسان المغاربة في طريقة لباسهم وامتطائهم للخيول، فهذا ميغيل لوكاس دي أرناتو صفــي ملك قشتالة هنريكي الرابـع يمتطي فرسه على الطريقة الزناتية ويلبس جبة عربية من حرير موشــى وملون،كما رتب الملك القشتالي هنريكي الرابـع حراسه على الطريقة الزناتية، وقـد اشتهر مركيز مدينــة قادس بــأنه كــان فارســاً عظيماً على طريقة زناتة(6)، ومن الملفت أن المقاتلين الإسبان أخذوا عــن المسلميــن تلك الصيحات التــي تستنجـد بالقوى الإلهية، وبالرســل والقديسين، حيث تروي المصــادر الإسبانية أنــه

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ، 207/4

(2) أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم: المرجع السابق، 411

(3) الطوخي: المرجع السابق،227-228

(4) أرسلان شكيب: المرجع السابق، 180

(5) الطوخي: المرجع السابق، 228

(6) العبادي: نظم الحكم ، 185

فــي إحدى المعارك التــي دارت بين المسلمين والنصارى راح المسلمون يصيحون يا محمد، بينما النصارى يصيحون يا سنتياغو، هــذا القديس الذي كــان رمزاً للحـرب علـــى المسلمين حيث كان يسمى MATA MOROSأي قاتل المسلمين(1).

وانتقل التأثير إلــى المصطلحات العسكرية، فإذا ألقينا نظرة عليها فإننا نكتشف عدداً كبيراً مـــن المفردات ذات الأصول العربية، ففــي مراتب الجيش فيطلــق علـــى رتبة ملازم في اللغة الإسبانية لفظ Al farez أي الفارس، وتسمــى مقدمـــة الجيش Al talaya،أي الطليعة والمؤخرة لفظZaga أي الساقة(2).

ثالثاً في الجانب الاجتماعي و الثقافي:

كانت العلاقة بين الأندلس النصرية والمغرب المرينــي علاقـة تأثير وتــأثر متبادل، وقــد تعرضت الأندلس بوضوح لتأثيرات المغــاربة الوافدين خاصة وأن أهل غرناطة كانوا شديدي التمسك بكل مـــا يربطهم بالروح الإسلاميــة فـــي مواجهة المـــد النصرانـــي القـادم من الشمال، والمعروف عـــن مملكة غرناطة أنها مرت فــي تاريخها بمراحل متعددة، كـانت فـــي بعضها تقترب من القشتاليين حتـــى فـــي ملابسهم وآلات حـــروبهم، وأحيـــاناً تقتـــرب مـــن المغاربة القاطنين بالأندلس فتتخذ اللباس العربـــي وآلات الحـرب العربيــة أيضاً(3)لأن الفترة الأخيرة من تاريخ غرناطة والتـــي أصبحت تبدوا فيها إسلامية مغربية أكثر مــن أي وقت مضـــى، كـــان للمغرب المرينـــي الأثر القـوي فـــي ذلك، وهــذا بفرض لغته وعاداته وحتـــى نظمه المختلفة(3)، فسلاطين غرناطة كانوا يحاكون أمثالهم فــي فاس من حيث الشكل وطرق الإدارة والتسيير وبناء المدن وكل ما يتبع ذلك(5).

---

(1) العبادي: نظم الحكم ، 185

(2) ليفي بروفنسال: حضارة العرب في إسبانيا، تر: ذوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د ط، د ت، 89

(3) أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم: المرجع السابق، 410

(4) المرجع نفسه، 411

(5) Louis Bertrand : histoire d’Espagne, Arthéme Fayard, paris, 1932, p 270

وقـد كان الفضل فـي ذلك يعود إلـى قـوات الغزاة المغـاربة العابرين والمستقرين فـي الأندلس(1)، فهؤلاء الجنود الذين كانوا يروحون ويغدون فـي ملابس وأسلحة غيـر تلك التي كان الجند الأندلسي يتخذها عند بدء دولة بني الأحمر، فكان لابد من ملاحظة الفارق(2).

لعل أهم مظاهر هذا التأثير تجلى في الأزياء، حيث توضح مختلف الرسوم الموجودة في قصر الحمراء الأشكال المختلفة للعمامة الغرناطية التـي يغطـي الكثير منها الكتف ويدور حول الرقبـة علـى الطريقة المغربية(3)، والمعلوم أن ارتـداء العمامة كان نادراً فـي مملكة غرناطة خاصة أثناء بداياتها، حيث كـان ثانـي السلاطين النصريين محمد الفقيـه وجنـوده يتحركون حـاسري الرؤوس، ولـم يكن يلبس العمـامة إلاّ القضاة والعلمـاء، ونظراً لتأثرهم بالوجـود المغربـي المتزايـد راح الغرناطيون يتعممون بالعمامة التقليدية التـي كانت ترخى على الخدين وتدور حول الرقبة وتنسدل على الكتفين(4).

كما تأثر الأندلسيون بالألبسة والأقمشة المغربية المتنوعة، حيث صاروا يلبسون أقمشة الكتـان والقطـن والصـوف والأردية الإفريقيـة والمقاطـع التونسية، كمـا ظهرت بعـض الشخصيات الغرناطية المرسومة ترتدي برنساً من صوف أبيض(5).

كان التأثير المغربـي في الأندلس النصرية تأثيراً عميقاً، لم يقتصر على المظهر فقط، بل تعداه إلى الوجدان العقلي والشعوري لكل الأندلس التـي لم يكن لها من خيار سوى الاتجاه نحو الثقافة الأم وهي الثقافة الإسلامية المغربية(6).

لم يتوقف التأثير المغربـي عنـد الأندلس الإسلامية، بـل تعداه إلـى إسبانيا النصرانية نفسها، حيث نجد صدى واسعاً لأخلاق فرسان زناتة وشجاعتهم عنـد نظرائهم مـن النصارى في إسبانيا ومن وراء جبال البرانس، حيـث اعتنق العديد منهم تلك المثل العليا والتـي ترجمها

---

(1) الطوخي: المرجع السابق، 75

(2) أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم: المرجع السابق، 411

(3) الطوخي: المرجع السابق، 89 ، أنظر الملحق (7)

(4) أبو الفضل محمد أحمد: دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 ،386

(5) ابن الخطيب: الإحاطة ، 36/1 ، الطوخي: المرجع السابق، 76

(6) أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم: المرجع السابق، 411

الشعراء فـــي قصـــائدهم الملحمية وبهـــذا أسســـت أفكـــار ومبـــادئ الفروسيـــة الأوروبية في العصور الوسطى بتأثير مباشر من هؤلاء الفرسان المغاربة حسب الأستاذ غوردن(1).

لم يمر وجود الفرســـان الزناتيين دون أن يبقـــي أثراً ملموساً فـــي مختلف النواحـي الاجتماعية و الثقافية ليس فقط في الأندلس الإسلامية بل حتى في إسبانيا النصرانية.

(1) كولتون جورج غوردن: عـالم العصور الوسطـى فـي النظم والحضـارة، تر: جوزيف نسيم يوسف، مؤسســة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983 ، 134-135

الخاتمة:

إن سقوط دولة الموحدين وزوال سلطتهم فـي الأندلس، خلق واقعاً جديداً كـان لابد من التعايش والتأقلم معه. وقد ولّد هذا الواقع الجديد ظهور فاعِلين جدد فـي الساحة الأندلسية.

ولعل أهمهم، هؤلاء المغاربـة المتطوعون للجهاد في أرض الجزيرة، فيما اصطلح على تسميته بمشيخة الغزاة، هذه الخطة الجديدة التـي هدفت إلـى تجميـع هؤلاء المتطوعين فـي تنظيم موحد، وتـوجيه جهودهم نحـو هدف واحد، هـو صـد عدوان الممالك النصرانية على ما تبقى من ممتلكات المسلمين في أرض الأندلس.

جاءت نشأة هذه الخطة فـي ظل ظروف عاشتها الأندلس وعـاشها المغرب وكذلك الممالك النصرانية، وتبيـن مـن خلال العمل أن تأسيس خطـة مشيخة الغزاة كـان وليد حالة الأندلس وجوارها، لعل أهمها هـو الدولـة الجديدة التـي ورثت مـا تبقـى من ملك المسلمين بالأندلس: دولة بنـي الأحمر، هـذه الدولـة الصغيرةُ مساحـةً، القليلة مواردا، والتـي انبثقت عن سلسلة من الثورات التـي عمت الأندلس إثر انهيار ملك الموحدين بهـا، قـام بتأسيسها محمد بـن يوسف بن الأحمر، صـاحب الشخصية القويـة الطموحـة، ذات التكوين العلمـي والعسكري الجيد، استطـاع بواسطة هـذه المواهب أن يؤسس لنفسـه ولعائلته مملكـة شملت الجزء الجنوبي الشرقي لجزيرة الأندلس وعاصمتها غرناطة.

هذه الدولة كانت عرضة لخطر الزوال فـي كل لحظة، نظراً لتربص النصارى بها ممـا أجبر مؤسسها انتهاج سياسـة المهادنـة والخضوع ، ويعـد ذلك ربما مـن أهم العوامل التي ساهمت فـي ثبات وبقاء مملكة بني الأحمر، بالإضافة إلـى عوامل أخرى منها الطبيعية التي شكلت خطاً دفاعياً ضد الأعداء، واقتصـادية ساهمت فـي نمو موارد الدولـة وتوظيفها فـي تقوية المملكة، وكذلك استغلال العامل البشري المتمثل فـي أنصار الدولة والموالي، هذا داخلياً أما خارجياً فإن مـن عوامل بقاء الدولة هو الاستثمار فـي خلافات الممالك النصرانية فيما بينها واستغلالها لصالحها، وفـي الوقت نفسـه، الاعتماد علـى المساعدة الخارجية لدولة بني مرين الفتية التي أبقت على سنة الدول المغربية السابقة لها، فـي إرسال القوات المغربية إلى بر الأندلس بغرض الجهاد.

لكن التدخل المريني في الأندلس، لم يتم إلا بعد استنجاد أهل الأندلس أنفسهم بإخوانهم في المغرب، لأنهم ُاعتبروا ورثة الموحدين، فعليهم إذن واجب حماية الأندلس، وقام بهذه المهمة خاصة العلماء في تبليغ رسائل الاستنجاد التي لقيت لها أخيراً صدى عند بني مرين.

فبنو مرين، هذه القبائل الزناتية التي استطاعت تكوين دولة لها على حساب الدولة الموحدية المنهارة، كانت أعظم فتراتها في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق.

أخذت دولة بني مرين على عاتقها مهمة نجدة مسلمي الأندلس، وتم ذلك بطريقتين أساسيتين:

- الأولى بدعم المتطوعين العابرين للجهاد، ولعل من أهم تلك الموجات العابرة الموجة التي قادها الأمير عامر بن إدريس ين عبد الحق، التي دعمها السلطان المريني بنفسه بالمال والسلاح.

- الثانية بعبور الجيوش المرينية بقيادة سلطانها بنفسه، نحو الأندلس حيث جاز أبو يوسف يعقوب رفقة جنوده المضيق أربع مرات، وكان لهذا التدخل المريني آثاره الجلية على واقع ومستقبل الأندلس سلباً وإيجاباً.

ما يمكن ملاحظته أن تدخل بني مرين في الشؤون الأندلسية، لم يكن برغبة أندلسية خالصة، بل جاء ليحقق جملة من الأهداف الخاصة بهم سواء الإستراتيجية، لكون الأندلس تعتبر حاجزاً أخيراً أمام التهديدات النصرانية على السواحل المغربية، أو الداخلية التي تتمثل في البحث عن الشرعية تحت راية الجهاد، حيث لم يكن لبني مرين دعوة دينية، ولم ينحدروا من أصل شريف، فلم يبق سوى جهاد النصارى عاملاً أساسياً لكسب شرعية الحكم والسلطان، هذا لا ينفي كذلك الاستفادة المادية التي توفرها الغنائم، وكذلك عامل ضمان الاستقرار داخل المغرب بتوجيه جهود المناوئين للسلطة من العرب والبربر نحو الأعمال الجهادية.

إن طبيعة دولة بني الأحمر الضعيفة، وتدخل بني مرين العسكري في الأندلس، وإقامة مشيخة الغزاة المختصة بعمل المتطوعين للجهاد، لم تكن له هذه الأهمية لولا النشاط المتزايد للممالك النصرانية، التي راحت تتوحد فيما بينها، تحت قيادة ملوك ذوي شخصية قوية

وتحدوهم روح صليبية متقدة، تعمل كل ما في وسعها لاقتطاع أكبر قدر ممكن من أراضي المسلمين، وكانت أهم هذه الممالك البرتغال في الغرب، وأراغون في الشرق، وأكثرها خطراً وقوة مملكة قشتالة في الوسط، هذه الممالك عملت من أجل مد نفوذها جنوباً شيئاً فشيئاً على حساب المسلمين،والتخلص نهائياً من وجودهم في الجزيرة، وبدأت قواعد المسلمين الكبرى تسقط الواحدة تلو الأخرى، ورغم توقف هذا المد في بعض الفترات، إلاَّ أنها استمرت في محاولاتها بصورة متكررة، مما أدخل جزيرة الأندلس في حروب دائمة.

لقد تكونت نواة مشيخة الغزاة، من خلال المتطوعين القادمين من المغرب، خاصة الزناتيين الذين فَرَضَت عليهم ظروفهم في المغرب الانتقال إلى الأندلس،وعلى رأسهم أمراء مرينيون، وقد تدعمت هذه الخطة عندما تم ترسيمها باتفاق دولتي بني الأحمر وبني مرين، وتم دمجها في النظام النصري.

وكانت قيادة الخطة، بيد شيوخ الغزاة المرينيين المعيَّنين من قبل السلطان النصري غالباً، والمتمتعين بمكانة مرموقة، لخطورة مهامهم وحساسيتها، وقادوا عناصر مختلفة من بربر وعرب، كان أغلبهم من الفرسان.

وتوزعت فروع مشيخة الغزاة،على أهم المدن والثغور الأندلسية، تخضع لسلطة الوالي أو السلطان نفسه، واختلفت وسائل القتال وطرقه وعاداته بالنسبة للمقاتلين المغاربة عن مثيلاتها الأندلسية.

وساهمت مشيخة الغزاة بفعالية في الأعمال الجهادية ضد النصارى بالمشاركة في الحملات المرينية وحملات سلاطين بني الأحمر على الثغور النصرانية، بالإضافة إلى قيامهم هم بأنفسهم بحملات خاصة بهم، لكن المهمة الأساسية لهذه الخطة، تمثلت في صد هجمات النصارى على ممتلكات المسلمين والمساهمة في حمايتها،وهو ما تجلى في مساعدة أهل المرية أثناء حصار مدينتهم، وكذلك في رد الحملة التي تعرضت لها العاصمة غرناطة، وهو ما أثبت مدى فعالية وضرورة مثل هذا النظام العسكري.

هذه الأعمال السابقة لم تشفع لهذه الخطة، ولم تسمح لها بالاستمرار، بل راحت ضحية للخلافات السياسية التي عرفتها العلاقات النصرية المرينية، وكان محوها إثر رحيل آخر

شيخ للغزاة ابن أبـــي يفلوسن للمنافسة علـــى عرش بنـــي مرين فـــي المغرب.

لقد كانت مشيخة الغزاة واقعاً ملموساً وفاعلاً أساسياً فـي السـاحة الأندلسية والمغربية معـاً، وكانت وجهاً مـــن أوجه العلاقة بيـن العدوتين، بـــل كانت إحدى ثمرات الاتفاق والود بين بنـــي الأحمر وبنـي مرين، وعاملاً من عوامل تدعيم العلاقات والتفاهم فكان السعي الدائم لكي تستمر.

لكن في نفس الوقت، تحولت إلـى هدف مشترك وجب تدميره والقضاء عليه، نتيجة لما وصلت إليه مـن مكانـة نافست أصحاب السلطان، وأدت الظروف السياسية والعسكرية الدور البارز للاتجاه إلى هذا المنحـــى.

إن ما يجلب الاهتمام كذلك هـو أن العلاقات النصرية المرينية، عُرِفَـت بالتقلب الدائـم بين الاتفاق والاختلاف، وتدخلت مشيخة الغزاة كثيراً فـي تحديـد نوع هذه العلاقة، وإن كان لها دور في دعم العلاقة بطريقة إيجابية، فقد كان لها دور أيضاً فـي توتير هذه العلاقة، وقـد تجلى ذلك في العديد من الأزمات التـي عرفتها العلاقـات الثنائية النصرية والمرينية، خاصة بعد استيلاء بنـي الأحمر علـى مدينة سبتة، واستعمال قيادة المشيخة في المحاولات للسيطرة على البلاط المريني، وهـو ما ولد قلاقل وحروباً بين العدوتين، وقد أضر ذلك كثيراً بنوعية العلاقة بين الدولتين.

إن تـأثير مشيخة الغزاة لم يقتصر علـى نوعية العلاقات النصرية المرينية، بـل تعـداه إلـــى التأثير فـــي كلتا الدولتين علـــى مختلف الأصعدة، السياسيـة والعسكرية والاجتماعية والثقافية، مما صبغ الأندلس بصبغة مغربية في الكثير من مناحي الحياة.

ومن خلال الدراسة ككل يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

1- جـاء تكوين مشيخة الغزاة نتيجة ثلاثـــة أسباب أساسية، السبب الأول هـو مملكة غرناطة نفسها، فهـــي مملكة صغيرة الحجم، قليلة الموارد، محاطة بالأعـداء، بحاجة إلـــى المساعدة الخارجية، التـــي تجلت فـــي دولة بنـــي مرين والتـي اعتبر تدخلها في الأندلس السبب الثاني في نشأة الخطة، حيث تم الاتفاق بين الدولتين علـى إنشائها، لكـن كـــل هـذا لم يكن ليتم لولا النشاط المتزايد للممالك النصرانية فـي حربها علـــى المسلمين، والذي يعـــد السبب المبـاشر

لتكوين خطة قادرة على المواجهة المستمرة لهذا الخطر، وهي مشيخة الغزاة.

2- كان الهدف من دعم المتطوعين العابرين إلى الأندلس بالنسبة للسلطة المرينية، الاستجابة لنداء الأندلسيين بصورة مستعجلة، وكذلك إبعاد المنافسين على العرش من البيت المريني.

3- جاء التدخل المريني في الأندلس، لتحقيق جملة من الأهداف، فاستراتيجياً اعتبرت الأندلس حاجزاً أخيراً أمام أطماع النصارى، وداخلياً كان هناك سعي للبحث عن الشرعية تحت راية الجهاد، ومادياً محاولة الاستفادة من الغنائم، مع العمل على ضمان استقرار الدولة المرينية، بإبعاد المناوئين للسلطة نحو العمل الجهادي.

4- بالنسبة لبني الأحمر، إنشاء مشيخة الغزاة هدفه الاستفادة من الخبرة العسكرية للقيادة والعناصر الزناتية،وإبعاد الزعامات الأندلسية المنافسة لهم ،ومحاولةً للتقرب من بني مرين.

5- كانت قيادة مشيخة الغزاة تكاد تكون وراثية في بني أبي العلاء، أحد فروع بني عبد الحق سلاطين بني مرين.

6- مهمة شيخ الغزاة تتلخص في الاعتناء بالعناصر المجاهدة وقيادتها، في زمن الحرب والسلم بالإضافة إلى مهام أخرى أهمها الدبلوماسية.

7- تمتعت مشيخة الغزاة بنوع من الاستقلالية في تسيير شؤونها المادية و العسكرية.

8- اعتبر المتطوعون، المُزَود الحقيقي لقوات مشيخة الغزاة بالأفراد.

9- تنوعت عناصر الجند المغربي، لكن أغلبها كان من البربر الزناتيين بالإضافة إلى مجموعات عربية، كان لها تسليحها، وأساليبها الخاصة التي تركزت حول الفروسية.

10- تم تعميم فروع مشيخة الغزاة في المدن والثغور الأندلسية، لتمكين القوات المغربية من أداء مهامها بسرعة وبنجاعة.

11- تمثلت مهمة مشيخة الغزاة الأساسية، في صد الهجمات النصرانية ضد المدن والثغور النصرية، ومساعدة ودعم الجيش النصري الأساسي باعتبارها النواة الثانية لهذا الجيش.

12- من أهم أسباب زوال خطة مشيخة الغزاة، تعاظم خطرها على سلطتي بني الأحمر وبني مرين معاً، فقد أصبح شيوخ الغزاة يستبدون على السلاطين النصريين، وفي نفس الوقت شكلوا خطراً على السلاطين المرينيين بثوراتهم المتكررة، وطمعهم في العرش المريني، بالإضافة إلى تراجع الخطر النصراني بسبب المشاكل الداخلية للممالك الإسبانية.

13- ذهبت المشيخة ضحيــة المؤامرات والمكائد السيــاسية التــي شابت العلاقــات النصرية المرينية، بجعلها أداة فيها، مما انقلب على قادتها بإبعادهم عن قيادة هذه الخطة.

14- كانت مشيخة الغزاة بمثابة المؤشر الدال على نوع العلاقات النصرية المرينية.

15- تدخلت مشيخة الغزاة فـي الأمور الخاصة بكلتا الدولتين، سواء بطريقة مبــاشرة أو غير مباشرة سلباً وإيجاباً.

16- إن مشيخة الغزاة لـم تحم الدولة النصرية من الأخطار الخارجية فحسب، بل من الداخلية أيضاً، حيث عملت هذه الخطة على الحفاظ علــى بنـي الأحمر بدعم سلاطينهم ضد الثورات، وبإعادة بعضهم إلى عروشهم حتى بعد خلعهم.

17- أدخلت القوات الزناتية الخاصــة بمشيخة الغزاة، أساليب جديدة فـي القيادة وفــي القتـال، أثّرت فـي المحيط الأندلسي والإسباني.

18- أعاد المغاربة ربط الأندلسيين بالثقافة المغربية الإسلامية، فـي مواجهة القيم الاجتماعيـة والثقافية النصرانية الحاضرة بقوة، وهو التأثير الذي تعدى إلى الجانب الإسباني.

إن مشيخة الغزاة، لم تكن بالشيء الطارئ على الأندلس، بقدر ما كانت عنصراً فاعلاً علــى مختلف المستويات و كانت وجهاً بارزاً فـي تاريخ المغرب والأندلس ما بعد الموحدين.

الملاحق

ملحق (1)

نص ظهير تولية الأمير يوسف بن محمد مشيخة الغزاة بدلاً من أحد قرابة بني عبد الحق:

هذا ظهير كريم فاتح بنشر الألوية والبنود، وقود العسكر والجنود، وأجال في ميدان الوجود، جياد البـأس والجود، وأضفـى ستر الحماية والوقاية بالتَّهائم والنجود، على الطائفين والعاكفين والركع السجود، عقـد للمعتمد به عقـد التشريف والقـدر المنيف زاكي الشهـود، وأوجب المنافسة بين مجـالس السروج ومضاجع المهود، وبشر السيـوف فـي الغمود، وأنشأ ريح النصر آمنة من الخمود، أمضـى أحكامه، وأنهد العزَّ أمـامه، و فتَّح عـن زهر السرور والحبور أكمامه، أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبـي الحجاج يوسف بن مولانا أميـر المسلمين فرج بن نصر، أيَّد الله أمره وخلد ذكره، لكبير ولـده وسـابق أمده، وريحانة خَلّده، وياقوتة الملك علـى يده، الأمير الأكبر،الطاهر، الظـاهر، الأعلـى، واسطة السلك، وهـلال سمـاء الملك، ومصباح الظُّلم الحلك، ومَظِنَّة العناية الإلهية مـن مدبِّر الفَلَك، ومُجري الفُلك، عنـوان سعده،وحسـام نصره وعضده، وسمـي جده، سلالة فضلـه ومجده، السعيد، المظفر، الهمام، الأعلـى، الأمضـى، العـالم، العادل، العامل، الأرضى، المجـاهد، المؤمل، المعظم، أبـي الحجاج يوسف،ألبسه الله من رضاه عنه حللا لا تخلق جدتها الأيـام، ولا تبلغ كُنهها الأفهام، وبلغه فـي خدمة المبالغ التـي يُسر بها الإسلام، وتسبـح فـي بحار صنائعها الأقلام، وحـرس معاليه الباهرة، بعينه التـي لا تنام، وكنفه بركنه الـذي لا يضام، فهو الفرع الـذي جرى بخصله علـى أصله، وارتسم نَصرُه فـي نصله، واشتمل جِدُّه على فضله، وشهدت ألسن خِلاله برفعة جلاله، وظهرت دلائل سعادته، في بدء كل أمر وإعادته.

ولما صرف وجهه إلـى ترشيحه لافتراع هضاب المجد البعيد المدى، وترشيحه بالصبر والحلم والبأس والنـدى، وأرهف منه سيفاً مـن سيوف الله لضرب هام العدا، وأطلعه فـي سماء الملك بدر الهدى، لمن راح و غدا، وأخذه بالآداب التـي تقيم النفوس أوَدا، وتبذر في اليوم فتجنى غدا،ورقاه فـي رتب المعالـي طوراً فطورا،ترقيَّ النبات ورقاً ونوَرا، ليجده بحول الله يداً باطشة علـى أعدائه، ولساناً مجيباً عند ندائه،وطِرازاً على حلَّة عليائه، وغماماً

مـن غمائم آلائه، وكوكباً وهَّاجاً بسمائه، وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده، قبل أن ينتقل مــن مهده، وظلّله بجناح رايته، وهــو علــى كتد دايته، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته، وتنويهاً بمَجادته، وأثبت فــي غرض الإمارة النصرية بسهم سعادته، رأى أن يزيده فـــي عنايته ضروباً وأجناساً، ويُتبِعُ أثرَه ناساً فناسا، وقد اختلفوا لساناً ولباساً، واتفقوا ابتغاءً لمرضاة الله والتماساً،ممن كَرُم انتماؤه، وازَّينت بالحسب الغر سماؤه، وعرف غَنَاؤه، وتأسس على المجادة بناؤه، حتـى لا يدع من العناية فنّاً إلا جلبه إليه، ولا مقادة فخر إلا جعلها في يديه، وجلّة عز إلا أضفى ملابسها عليه.

وكان جيش الإسلام فــي هــذه البــلاد الأندلسية- أمن الله خلالها، وسكّن زلزالها، وصدَّق في رحمة الله التي وسعت كل شيء آمالها- كلف همته،ومرعى أذِمَّته، وميدان جياده، ومتعلق أمد جهاده، ومعراج إرادته، إلى تحصيل سعادته، وسبيل خلاله، إلى بلوغ كماله، فلم يدع له علة إلا أزاحها، ولا طلبة إلا أجال قداحها، ولا عزيمـــة ألا أورى اقتداحها، ولا رغبة إلا فسَّح ساحها،آخذاً مروءته بالتهذيب،ومصافّه بالترتيب، وآماله بالتقريب، وتأنيس المريب، مستنجزاً له و به وعـد النصر العزيز والفتح القريب، ورفع عنه لهذا العهــد نظر مــن حكَّم الأغراض في حماته، واستشعر عروق الحسائف لشريف كماته، واشتغل عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته، وجلب جباته، وتثمير ما لــه وتوفير أقواته، ذاهباً أقصـــى مذاهب التعمير بأمد حياته، فانفرج الضيق، وخلص إلى حسن نظره الطريق ، وساغ الريق، ورضي الفريق.

رأى- و الله الكفيل بِنُجع رأيه، و شكر سعيه، وصلة حفظه ورعيه- أن يحمد لهــم اختياره، ويحسن لديه آثاره، ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهــاده، وأبطــال جِلاده، وحماة أحوازه، وآلات اعتزازه، من يجري مجرى نفسه النفيسة فــي كل معنى، ومن يكون لـــه لفظ الولاية ولــه- أيده الله -المعنى، فقدَّمه علـى الجماعة الأولـى، كبرى الكتائب، ومقاد الجنائب، وأجمة الأبطال، ومزنة الودق الهطَّال، المشتملة مــن الغزاة علـــى مشيخــة آل يعقوب نسباء الملــوك الكرام، وأعلام الإســلام، وســائر قبــائل بنـــي مرين، ليوث العريـــن، وغيرهـــم من أصناف القبائل، وأولـى الوسائل، ليحوط جماعتهم، ويرفع بتفقده إضـــاعتهم، ويستخلص لله و لأبيــه- أيده الله - طاعتهم، ويشرِّف بإمـــارتــه مواكبهم، ويزيـــن بهلالـــه النـــاهض

إلـــى الأبرار علـــى فَلَك سعـادة الأقدار كواكبهم، تقديماً أشرق لـــه وجه الديـن الحنيف وتهلل وأحس باقتراب مـــا أمَّل، فللخيل اختيال ومراح، وللأسل السُّمر اهتزاز وارتياح، وللصدور انشراح، وللأمل مغذى في فضل الله ومَرَاح.

فليتول ذلك- أسعده الله - تولي مثله ممـــن أسرَّة الملك أسرَّته، وأسرة النبـي صلى الله عليه وسلم أسرته، والملك الكريم أصله وفرعه، والنسب العربـــي مفخر لطيب طبعـــه آخذاً أشرافهم بترفيع المجالس بنسبة أقدارهم، مقرِّباً حسن اللقاء بإيثارهم، شاكراً غناءهم، مستديماً ثناءهم، مستدرًّا لأرزاقهم، موجباً للمزية بحسب استحقاقهم، شافعاً لديه فـي رغباتهم المؤملة، ووسائلهـــم المتحمِّلة، مسهلاً الإذن لوفودهم المتلاحقـــة، منفقـــاً لبضائعهم النـــافقـة، مـؤنساً لغربائهم، مستجلياً أحوال أهليهم وآبائهم، مميزاً بين أغفالهم ونبهائهم.

وعلـــى جماعتهم- رعـــى الله جهادهم ووفر أعـــدادهم -أن يطيعوه فـــي طاعة الله وطاعة أبيه، وأن يكونوا يداً واحدةً علـــى دفـــاع أعادي الله وأعاديه، ويشدوا فـــي المواقـــف الكريهة أزره، ويمتثلوا نهيه و أمره، حتـى يعظم الانتفاع، ويثمر الدِّفاع، ويخلص القصـــد لله والمطاع، فلو وجد- أيده الله -غاية فـــي تشريفهم لبلَّغها، أو موهبة لسوَّغها، لكن ما بعد ولـده العزيز عليـــه مذهب، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب، والله منجح الأعمال، ومبلِّغ الآمال، والكفيل بسعادة المآل.

فمن وقف علـــى هـــذا الظهير الكريم فليعلم مقدار مـــا تضمنه من أمر مطاع، وفخـر مستند إلى إجماع، ووجوب اتباع، وليكن خير مرعيٍّ لخير راع، بحول الله.

وأقطعه -أيده الله -ليكون المدد لأزواد سفره، وسماط قفره، فـــي جملة ما أولاه من نعمه وسوغه من مواد كرمه، جميـــع القرية المنسوبة إلـــى عـــرب غسان، وهـــي المحلة الأثيرة، والمنزلة الشهيرة، تنطلق عليها أيدي خدامـــه ورجالـــه جارية مجرى صـــالح مالـــه، محررة من كل وظيف لاستغلاله، أن شاء الله فهو المستعان سبحانه، وكتب في كذا.

القلقشندي: المصدر السابق،11/15-19

ملحق (2)

نص ظهير تولية شيخ الغزاة إدريس بن عثمان بن أبي العلاء على مشيخة مدينة مالقة:

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحاً، وأنشأ للعناية في الوجود، من بعد الركود، رياحاً، وأوسع العيون قرة وإبصاراً، والصدور انشراحاً، وهيأ للمعتمد به مغذى في السعادة ومراحاً، وهزَّ منه سيفاً عتيقاً يفوق اختياراً ويروق التماحاً،وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت به الولاية فيه لسلفه فنال عِزّاً شهيراً وازداد فخراً صراحاً، وكان له ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً، أمر به وأمضاه، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه، الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين، والمجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر- أيد الله أمره وأعز نصره، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل اعتقاده حللاً، وأورده من عذب رضاه منهلاً، وعرَّفه قبوله مفصلاً خطابها ومجملاً، الشيخ أبي العلاء، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلا وصل الله أسباب سعادته، وحرس عَلِيَّ مجادته، وأجراه من ترفيع المكانة لديه على أحمد عادة سلفه وعادته.

ولما كان له القدر الجليل، والحمد الأثيل، والذكر الجميل، والفضائل التي كرم بها الإجمال و التفصيل، وأحرز قَصَب السبق بذاته وسلفه إذا ذكر المجد العريض الطويل، وكان قد أعمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التأميل،وبهوى به الحب الذي وضح منه السبيل، وعاق عنه الواقع الذي تبين فيه عذره الجميل، ثم خلَّصه الله من ملكة الكفر الخلاص الذي قام به على عنايته الدليل، قابله بالقبول والإقبال، وفتح له ميدان الرضا رحب المجال، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق الجمال، سافراً عن بلوغ الآمال، وآواه من خدمته إلى ربوة متسعة الأرجاء وارفة الظلال، وقطع عنه الأطماع بمقتضى همته البعيدة المنال، ثم رأى - والله يُنجِحُ رأيه ،ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه، ويرسل عليه عوارف آلائه، ويعمر به رتب آبائه ،فقدَّمه - أعلى الله قدمه، وشكر آلاءه ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين، وكبير أولى الدفاع عن الدين، بمدينة (مالقة) حرسها الله أختِ حضرة

دار ملكه، وثانية الدّرة الثمينة من سلكه، ودار سلفه وقرارة مجده، والأفق الذي تألق منه نور سعده، راجعاً إليه نظر القواعد الغربية، رندة وركوان،وما إليه رجوع الاستغلال والاستيراد، والعز الفسيح المجال البعيد الآماد، يقود جميعها إلى الجهاد، عاملاً على شاكلة مجده في الإصدار والإيراد، حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة، ويعود لها عهد المجادة والجلالة، وتتزين ملابس الإيالة، وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالمجد الكريم، والحسب الصميم، حتى ينمو عدد الحماه، ويكفَّ البأس أكفَّ الغزاة ويعظم أثر الأبطال الكماه، وتظهر ثمرة الاختيار، ويشمل الأمن جميع الأقطار، وتنحسم عنه أطماع الكفار.

وعلى أن يقف عليه من الفرسان- وقَّر الله أعدادهم، وأعزَّ جهادهم -أن يكونوا ممتثلين لأمره، عارفين بقدره، ممضين فيما ذكر لحكمه، واقفين عند حده ورسمه، وعلى من سواهم من الرعايا والخدَّام، والولاة والحكام، والبرِّ المشرق القسَّام، فيعاملوه بمقتضى الإجلال و الإكرام والترفيع والإعظام، على هذا يعتمد، وبحسبه يعمل، بحول الله وقوته.

القلقشندي: المصدر السابق،19/11-2

ملحق (3)

رسالة من السلطان النصري أبي الحجاج يوسف إلى السلطان المريني أبي عنان فارس يشكره فيها على المعونات الحربية التي قدمها لمملكة بني الأحمر

المقام الذي وسع الأمتين عدلـه وإحسانــه، وتكفل بحبر القلوب وتيسير الأمل المطلوب عمله ولسانه، واشتمل علــى المكارم المتعددة شأنه، وقام علــى الفضل المبين والآثر الرائقة لجبين برهانه، مقام محل أخينا الذي حكمــه عدل، وشيمته مجد وفضل، وملكه لنصر الله إياه أهل، وحقوقه علــى أهل الإسلام لا يصد عنها جهل، وسبيل مكارمه لا حــب سهل، السلطان الكذا (أبي عنان فارس المرينــي) أبقاه الله مخولاً مــن التوفيق أسنـــى المواهب، سالكاً نظره من السداد أوضح المذاهب، ومتعهداً جوانب الإسلام بألطافه العجائب، ذاخراً مــن نصره إياه جيوش عزم تسير أمــام الكتائب، صارفاً إليه مــن وجوه سياسته ما يقضـــى بحق الشاهد فيه والغائب، معظم مقداره الذي فاق الأقدار، ووضح فضله فأشبه النهار، وموفر ملكه الذي حاز الفخار، وعم فضله الأقطار، فلان (السلطان أبي الحجاج يوسف الأول ابن الأحمر).

أمــا بعد حمد الله الذي آلاؤه العميقة لا يقلع مدرارها، وألطافه الخفية لا تلتبس آثارها، الذي أقامكم لنصر كلمة الإسلام ليحمـــى ذمارها، ويعلوا منــارها، فآراؤكم لا تتعـدى السداد أنظارهــا، وعزائمكم ترتقب مقطع الوفــاء شعارها، ومكارمكم تعب فـــي سبيل الله بحارها، والصلاة علـــى سيدنا ومولانـــا محمد وسيلتنـا التـــي عظم عند الله مقدارها، وعمدتنا التـــي في التعويل على شفاعته من هذه الأمة استبصارها، وملجؤنا الذي إليه تمد أيديها وأبصارها، والرضا عن آلــه وأصحابه شموس سماء الدعوة الحنيفية وأقمارها، الذين كانوا غيوثاً تستقى أمطارها، وليوثاً يرهب زأرها، وأعلاماً تمهد سنــن الاقتداء أخبارها، والدعاء لإيالتكم العليا بالعــز الذي تعمر بـــه أقطارها، والسعد الذي تعمر بها أقطارها، والسعد الذي تتسنـــى بـــه أوطارها.

فأنا كتبناه إليكم – كتب لكــم عناية تكرم أسرارهــا وسعــادة تجنى فـــي سبيل ثمارها – مــن حمـــراء غرناطة، حـــرسها الله، ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا خيــر المنتخب البرود، والبشر المنتظم العقود، والحمد لله، ونحـــن نعتمد مــن مقامكم علـــى الظل الممدود، والورد المقصود.

وإلـى هذا – وصل الله لكم أسباب السعود، وإنجاز الوعود – فأن قد وصلنا كتابكم يسطع أرجه نشراً، وتزف عزته بشرى، تعرفون بما كان من لحاق الشيخ أبي زكريا يحيى بن رحو بمثابتكم العلية، وشرحه ما انتهـى بـه عمله فـي تـلك القضية، ووقوفـه عنـد مذاهب العدل المرضية، وما ظهر لكم مـن ممائل الأمة النصرانية، من دغل الطوية، والحيدة عن المذاهب الجلية، وأنكم آثرتم الحق طريقاً، وارتضيتم العدل فـي جنب العدو صديقاً، وأمرتم بخلاصهم مـن الشكايات التـي تقتضي عليها إيمانهم، وطلبهم بما يثبت المسلمين بمثل ذلك مما يقتضيه ضمائمهم، وتوجيه من يباشر هـذا الغرض الذي تفضلتم بإبرام عقـده، وإتمام قصـده، فقابلنا هذه المقاصد الكريمة، التي لم تدع سبيلاً فـي الوفاء إلا نهجته، ولا مطلوباً إلا أنتجته، بالشكر الطويل المديد، والثناء الغض الجديد، والدعاء لمقامكم بصلة التوفيق ة التسديد.

واعلموا- أيدكم الله - أن النصارى - كما قررتم - أمة تجـادل فـي الحـق بعـد بيانه، وتتمسك بالحبال الرثيثة بعـد وضوح برهانه، ولـو كانوا علـى آثره من إنصاف، أو أنصفوا مـن الانقياد ببعض اتصاف، لم يكونوا، أهـل بـاطل معتقد ، وزيغ منتقد، ولكـن أبلـغ عدلكم الأمـور منتهاها، وتمم أسباب النصفة ووفائها، ونحن ناظرون فـي تعيين من يباشر ما ذكرتم حسبما أشرتم، وعندنا مـن الشكر الجزيل مـا يقصر عنـه اللسان، ومـن الثناء علـى هـذه الأغراض الكريمة ما لا يدركه الاستحسان، فمـا زالت أعمالكم فـي سبيل الله كريمة الخواتم والفواتح، شاهدة بما لكم عند الله من التجر الرابح، كافأ الله قصدكم المتكفل برعى المصالح.

وأن تشوقتم إلـى أحوال النصارى فهـي - على حسب ما عرفناه به في كتاب أصدرناه إلـى مقامكم قبله - يؤكد الود ويقرره، ويشرح بعض أحوال من ذكر ويفسره، وبحسبما يتزيد عندنـا يعجل بـه أعلامكم، ويطالع بمتزيده مقامكم، الله تعالـى يعمر بالعـز أيـامكم، وينشر بالنصر على أعدائه أعلامكم، وهو يصل سعدكم ويحرس مجدكم، والسلام.

ابن الخطيب: كناسة الدكان، المصدر السابق، 142-144

ملحق(4)

بنو أبي العلاء

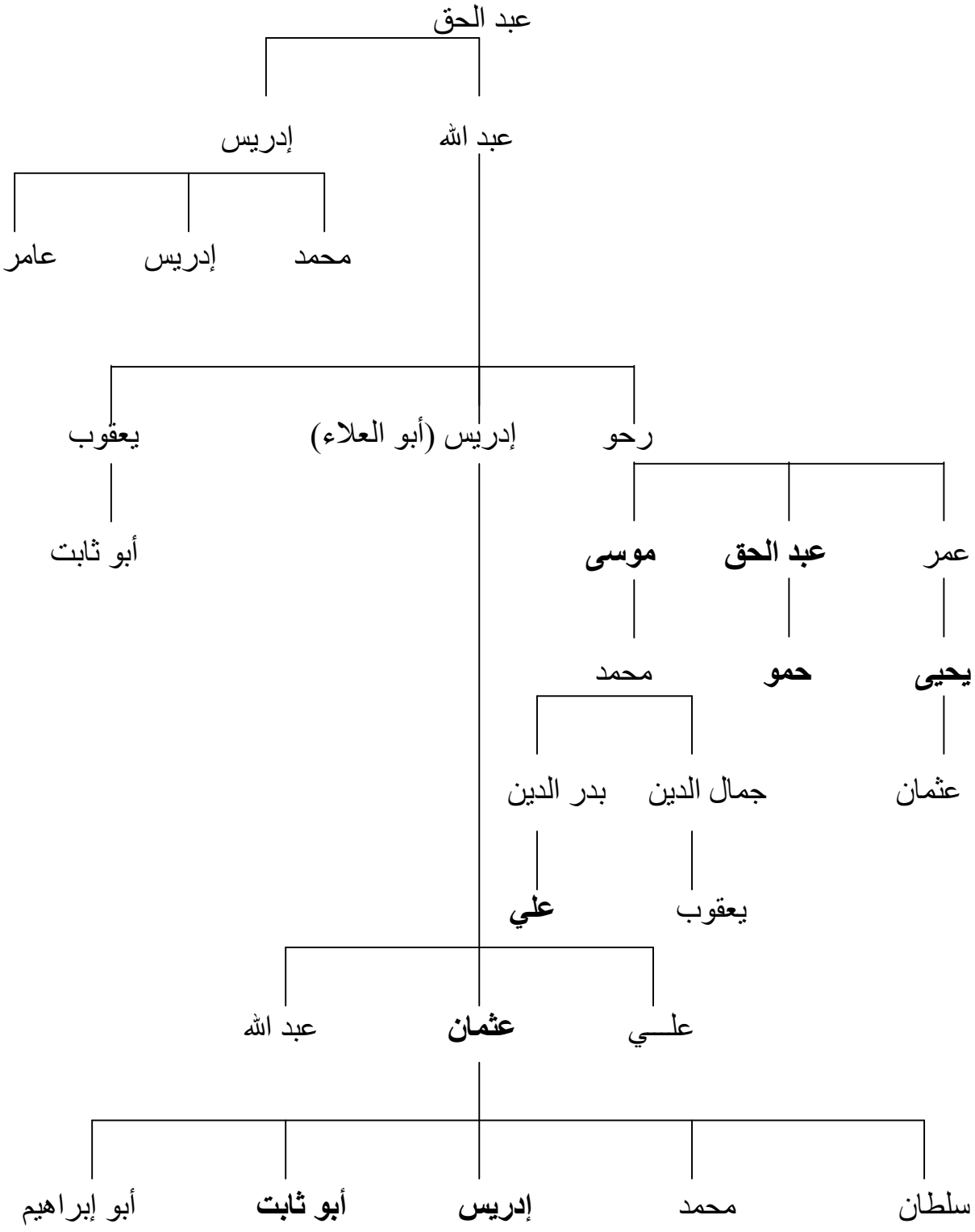

ابن خلدون: العبر، 3001/2، علماً بأنني أنا الذي وضعه على شكله الحالي.(المخطط)

ملحق(5)

بنو الأحمر

يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي الأنصاري(بنو الأحمر)

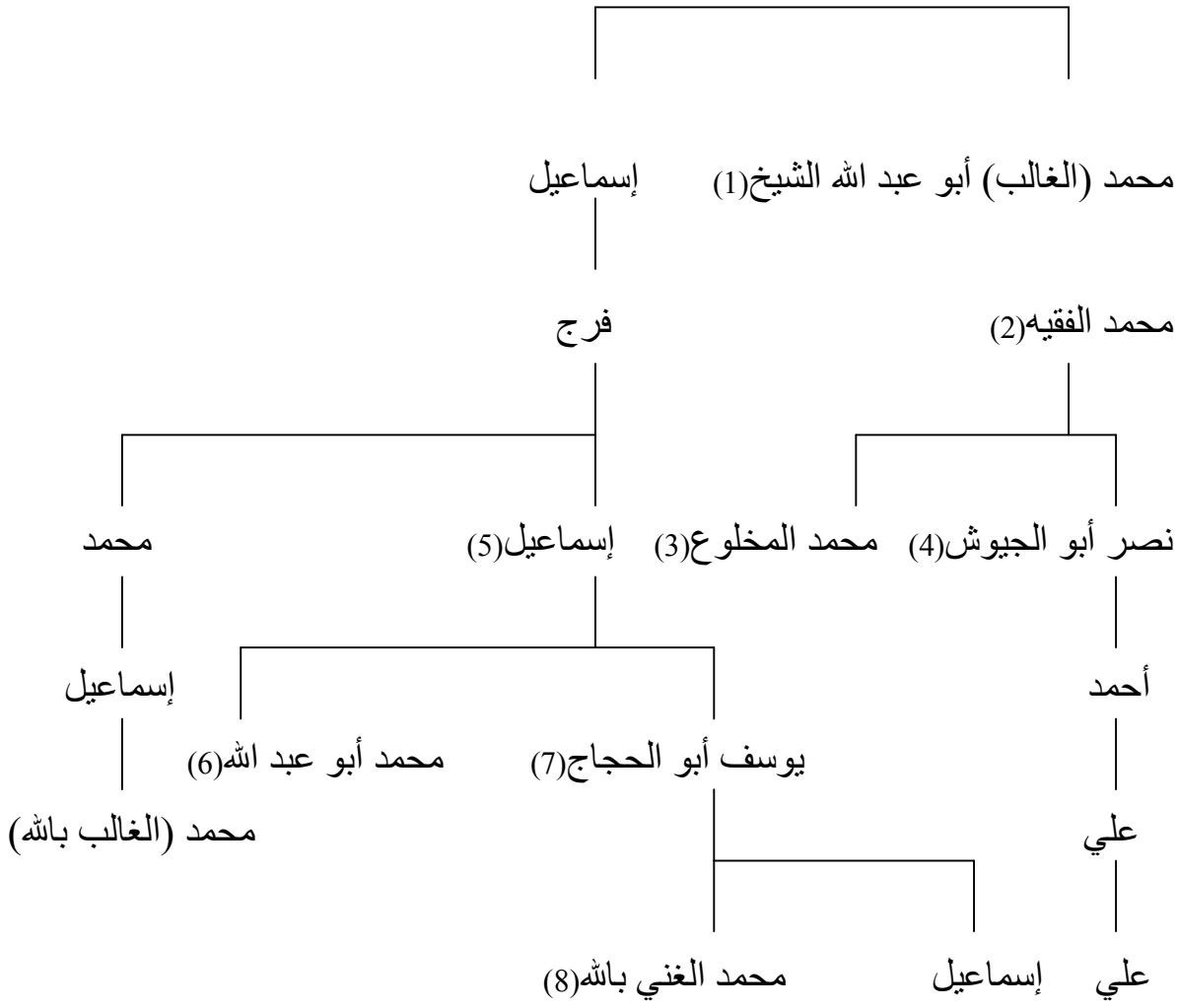

محمود شاكر: المرجع السابق: 327

ملحق(6)

سلاطين بني مرين

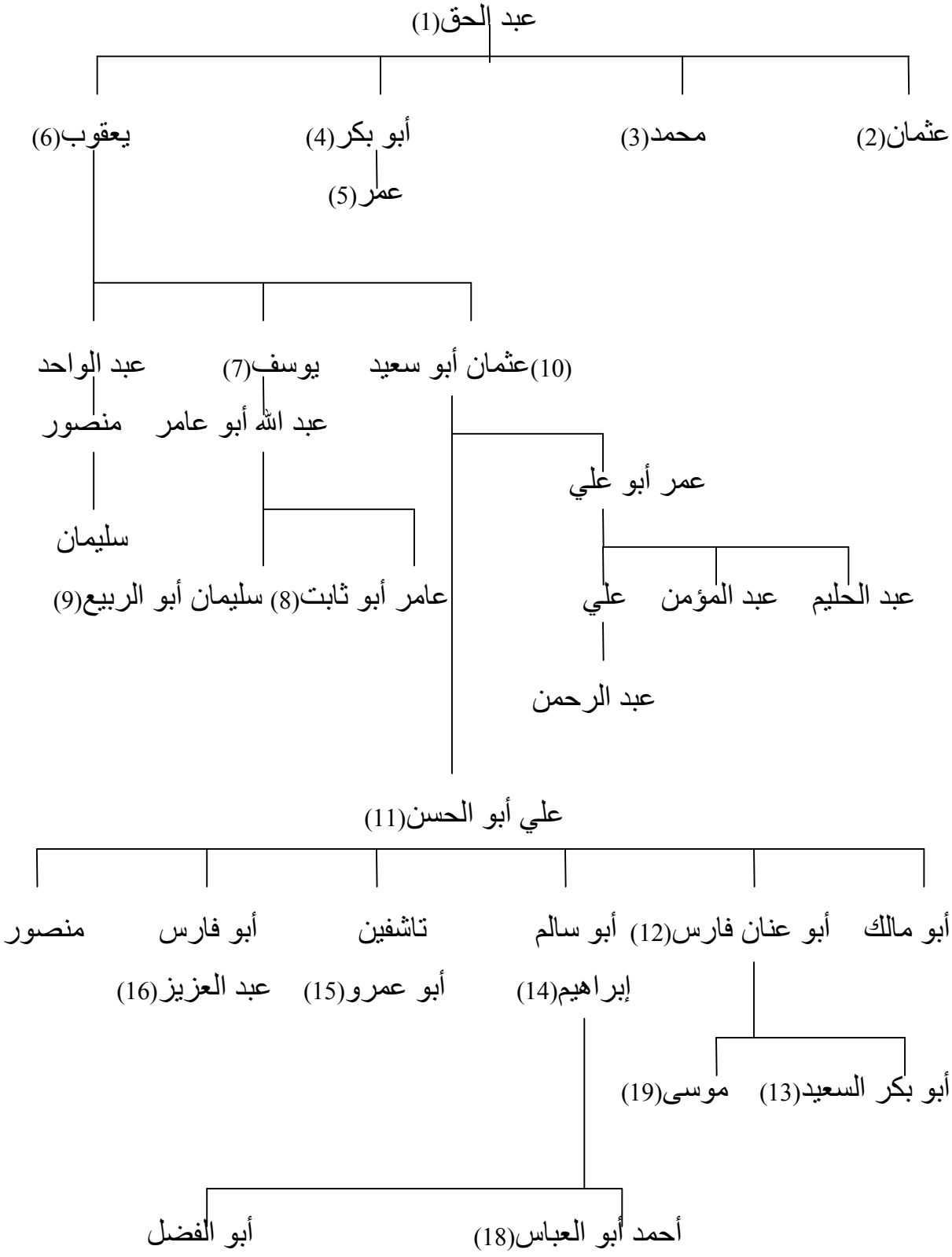

محمود شاكر : المرجع السابق،283

ملحق(7)

صورة لوحة الملوك العرب في قصر الحمراء

الصور مرسومة علـــى الجلد، ويرجح أن مـــن قام برسمها رسام إيطالي، وأنـــه قام بعمله هـــذا فـــي الثلاثين سنـة الأخيرة من تاريخ غرناطة الإسلامية، مؤنس حسين: رحلـة الأندلس (حديث الفردوس الموعود)، الـــدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، 1985، 153

ملحق(8)

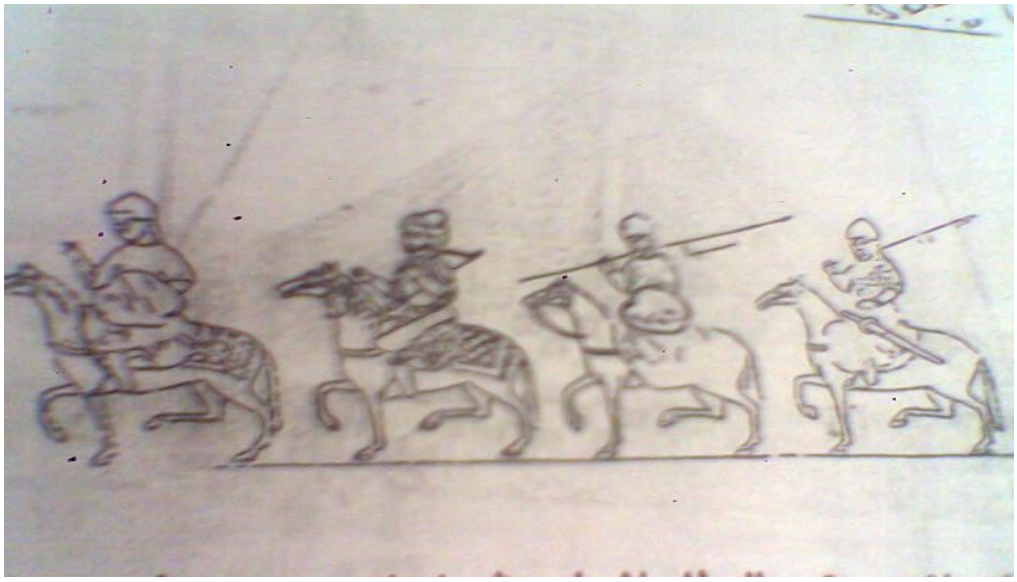

رسومات من قصر البرطل بقصر الحمراء توضح ملابس الجنود الغرناطيين، الطوخي: المرجع السابق،431

ملحق(9)

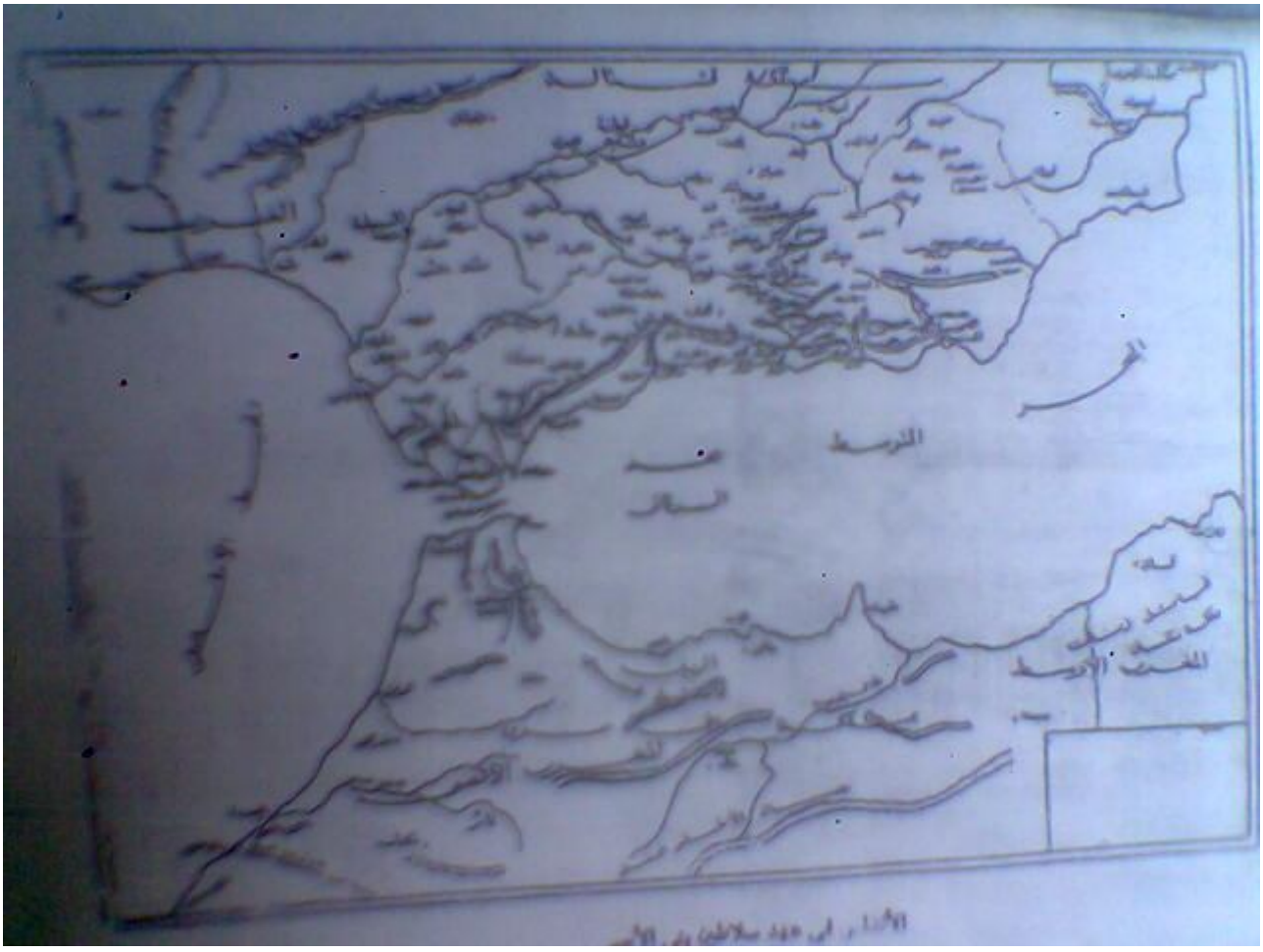

الطوخي: المرجع السابق:433

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- ابن الأبار: محمد بن عبد الله (659 هـ / 1238 م)

الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة، 1985

3- ابن أبي زرع : علي بن عبد الله (741 هـ/ 1323م)

الأنيس المطرب بروض القرطاس فـي أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972

4- " " "**:الذخيرة السنية فـي تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطبـاعة والورق، الرباط ، 1972

5- ابن الأحمر : إسماعيل بن يوسف النصري (807 هـ/ 1404)

روضة النسرين فـي دولة بنـي مرين، تح: عبد الوهاب بـن منصور،ط 3 ، المطبعة الملكية ، الرباط، 2003

6- " " **: نثير فرائد الجمان فـي نظم فحول الزمـان**، تح: محمـد رضوان الدايـة، دار الثقافة، بيروت، 1967

7- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي(حوالي 668،667هـ/1229)

القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،تح: إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

8-ابن الأزرق: محمد بن الأزرق الأندلسي أبو عبد الله (896هـ/1491م)

بدائع السلك في طبائع الملك، تح: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، دط، دت

9- ابن بطوطة: محمد بن إبراهيم اللواتي (779 هـ 1376 م)

تحفة النظار فـي غرائب الأمصار وعجـائب الأسفـار، دار التراث، بيروت، 1968

10-ابن حزم: علي بن أحمد (456هـ/1064)
جمهرة أنساب العرب تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت، 1998
11- الحميري : محمد بن عبد المنعم (727 هـ/ 1327م)
الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح :إحسان عباس ،مكتبة لبنان، بيروت،ط2 ،1984
12- ابن الخطيب: محمد بن عبد الله (774 هـ / 1373 م)
الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : يوسف علي الطويل ،دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت ، ط 1 ،2003
13- " " : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)**، تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2004
14- " " : **أوصاف الناس في التواريخ والصلات تليها الزواجر والعظات**،تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002
15- " " : **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس،1316
16- " " : **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه من شعراء المائة الثامنة**،تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت
17- " " : **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 ، 2003
18- " " : **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تح: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر،القاهرة، ط1 ، 2004
19- " " :**معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، د ط ، 2002
20- " " : **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تح: السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1 ، 1989

21- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (808 هـ / 1406 م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر فـي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2001

22- " " : **المقدمة**، دار الفكر، بيروت، 2004

23- ابن خلدون: يحيى بن محمد (780 هـ/ 1378م)

بغية الرواد في ذكر الملوك مـن بنـي عبد الواد، تح: ألفرد بل ، مطبعـة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر، 1903

24- ابن سعيد : علي بن موسى الغرناطي (685هـ/1682م)

المغرب فـي حلـى المغرب، تح: خليـل منصور، منشورات محمـد علـي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1997

25- ابن عذارى: ابن عذارى المراكشي (كان حياً عام 712هـ/1312 م)

البيان المغرب فـي أخبـار الأندلس والمغـرب- قسم الموحدين-، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخـرون، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، ط1 ، 1985

26- العذري: أحمد بن عمر العذري (478هـ/1085م)

نصوص عـن الأندلس مـن كتـاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان فـي غرائب البلدان، والمسالك إلـى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، دت

27- ابن العماد: عبد الحي بن العماد الحنبلي(1089هـ/1680م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت،د ط ، د ت

28- القلقشندي:أحمد بن علي أبو العباس (821 هـ/1418 م)

صبح الأعشـى فـي صناعة الإنشا ، المؤسسـة المصريـة العامـة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت

29- مجهول:

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1 ، 1979

30- مجهول:

ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، منشورات اللجنة العليا للبحوث العلمية لمعهد ميغيل أسين، مدريد،دط ،1983

31- مجهول:

مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، ط1 ، 2004

32- مجهول:

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تح: ألفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط1 ، 2002

33- ابن مرزوق: محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (781 هـ/ 1379 م)

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981

34- المقري: أحمد بن محمد التلمساني (1041 هـ / 1632 م)

أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،دط، 1939

35- " " :

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988

36-ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي(711هـ/1311م)

لسان العرب المحيط ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، نديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت

37- الوزان : الحسن بن محمد الفاسي(بعد 957هـ/ 1550م)
وصف إفريقيا، تح: محمد حجـــي، محمد الأخضر، دار الغـرب الإسلامـــي، بيروت، ط2 ، 1983
38- النباهي: علي بن عبد الله(793هـ/1391م)
تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: مريم قاسم الطويل،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ،1995
39- النميري: إبراهيم بن أحمد ابن الحاج النميري(774هـ/1373 م)
فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فـــي الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1 ، 1990

المراجع العربية:

1- أرسلان شكيب: خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983
2- أبو الضيف مصطفى أحمد عمر(الدكتور): القبائـل العربيـــة فـــي المغرب فـــي عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982
3- أبو الفضل محمد أحمد(الدكتور): دراسات فـــي تـــاريخ وحضـــارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996
4- " " " :شرق الأندلس فـــي العصر الإسلامـــي ، دار المعرفـــة الجامعيـــة، الإسكندرية، 1996
5- بن عميرة محمد(الدكتور): دور زناتة فـي الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
6- بن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1986
7-الحجي عبد الرحمن: التاريخ الأندلسي مـن الفتح حتـــى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط5، 1997
8- الحريري محمد عيسى(الدكتور): تـــاريخ المغرب الإسلامـــي والأندلس فـــي العصـــر المريني، دار القلم، الكويت، ط2 ، 1987

10- السيد عبد العزيز سالم(الدكتور): فـي تاريخ وحضارة الإسلام فـي الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985

11- السيد عبد العزيز سالم(الدكتور)، العبادي أحمد مختار(الدكتور): تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969

12- السلاوي أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المطبعة المصرية، القاهرة،1312هـ

13- شاكر محمود(الدكتور): التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط 1، 1985

14- الطوخي أحمد محمد(الدكتور): مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997

15- العبادي أحمد مختار(الدكتور): نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ضمن دراسات في الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، السويس، 1996

16- " " " " : صور من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1 ،2000

17- العزاوي أحمد(الدكتور): الغرب الإسلامي في القرنين السادس والسابع من خلال رسائله، الرباط نيت، الرباط، 2007

18- عنان محمد عبد الله(الدكتور): تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1970

19- " " " : الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 ، 1990

20- الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط1، 1994

21- فرحات شكري يوسف: غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،ط2 ، 1982

22- مؤنس حسين(الدكتور): تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث، بيروت، ط1، 1992

23- " " : رحلــة الأندلس (حديث الفردوس الموعود)، الــدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2 ،1985
24- المطوي محمـد العروسي: السلطنة الحفصية: تاريخها السياســـي ودورها فــي المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986
25- منير شفيق: علم الحرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط3، 1980

المراجع المترجمة:

1- بل ألفرد: الفرق الإسلامية فــي الشمال الإفريقــي، تر: عبــد الرحمن بدوي، دار الغــرب الإسلامي، بيروت، ط3 ، 1987
2- بروفنسال ليفي: حضارة العرب فـــي الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، منشــورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت
3- غوردون كولتون جورج: عالم العصور الوسطـــى فـــي النظم والحضــارة، تر: جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983

الدوريات والندوات:

1- أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم(الدكتور): ابـن عاصم الغرناطي وكتابه حدائــق الأزهار ضمن التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة، جــامعة عبـد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 1991
2- البشري سعد بن عبد الله: جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مجلة جامعة أم القرى، عدد 7 ،1992-1993
3- العبادي احمد مختار: فترة مضطربة في تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد 7 -8 ، مدريد، 1959 – 1960
4- عنان محمد عبد الله(الدكتور): مـــوقف القسطنطينية وباقــي العالم الإسلامـــي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها أمام الغزو الأوروبـــي للعالم الإسلامـي عموماً، مجلة الأصالة، العدد 27، 1975

5- مكي محمود علي(الدكتور): التراث المشترك الأندلسي المغربي في ميدان التصوف ضمن التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993
6- هربك إيفان: تفكك وحدة المغرب السياسية ضمن تاريخ إفريقيا العام، منظمة اليونيسكو، بيروت، 1988

المراجع باللغة الأجنبية:

1- ARIER RACHEL : quelque remarques sur les costumes des musulmans d'Espagne aux Temps des nasrides, ARABICA, E J BRILL éditions, LEIDEN, 1956
2-ATKHNSON William.M.C : histoire d'Espagne et du Portugal, petite bibliothèque Payot, paris, 1965
3- BERTRAND louis : histoire d'Espagne, Arthème, Fayard éditeurs, paris, 1932
4- DESCOLA jean : histoire d'Espagne chrétienne, robert LAFFONT, paris, 1951
5- DEHINA Atallah : les états de l'occident musulman aux XIII, XIV et XV siècles, office des publication universitaires, Alger, 1984
6-DUFOURCQ Charles-Emmanuel : l'Espagne catalane et le maghribe aux XIII et XIV, presse universitaires de France, paris, 1966
7- FELICHE augustin : histoire du moyen age – l'Europe occidentale de 888 a 1225- la presse universitaires de France, paris, 1930
8-GUICHARD pierre : AL- Andalus 711-1492 une histoire de l'Andalousie arabe, hachette littératures, paris, ed 4, 2000
9-PROVENÇAL levi : histoire d'Espagne musulmane, édition G.P. Maisonneuve, paris, 1953
10- Pique Victor : l'Espagne des maures, édition de Boccard éditeur, paris, 1945

11- TERRASSE Henri : histoire du Maroc, édition Athlantides, Casablanca, 1950

12- TERRASSE Henri : histoire d’Espagne, librairie Plon, paris, 1958

الفهارس

فهرس المدن و الأماكن

أ

أبدة 14-49

أرجونة 21-22-25

إشبيلية 17-18-21-25-40-41-42-
43-49-50

أستجة 40

أصطبونة 73

المرية 18-22-24-26-28-73-74

أرش 47

أندة 18

ب

بغداد 19

برشلونة 94

بطليوس 19

بلنسية 17-18-29-47-48

بياسة 17-49

ت

تازة 35-86

تاكرونا 20

تطوان 61

تلمسان 56-76-82-87

تونس 24

ج

جبل الفتح 19-73-81-93

الجزيرة الخضراء 73-43-42-40-39-19
جزيرة شقر 18
جيان 74-49-41-25-24-23-22-21

ح

حصن أشكر 65
حصن أندرش 91
حصن قشتال 63

د

دانية 48-18-17
درعة 35

ذ

ذكوان 63

ر

رباط الفتح 34
رندة 95-63-43
الريف 95

س

سبتة 95-87-86-85-61-39-37-16
سجلماسة 35
سرقسطة 15
سلا 44-34
السوس 35

ش

شاطبة 18-17
شبانة 73

شريش 37 -41-42

ط

طرطوشة 47

طريف 43-81-83-85-94

طنجة 35

ع

العقاب 13-31

غ

غرناطة 18-19-21-23-25-26-28-37-61

-62-63-69-73-74-84-87-93

ف

فاس 30-34-35-38-40-41-90-95-97

ق

قرطبة 17-18-21-25-41-49-73

قصر الصغير 38

قصر المجاز 38

قمارش 63

ل

لقنت 48

لورقة 26

م

ماردة 19

مالقة 18-21-22-23-24-25-27-36-61-

62-63-69-73-71-81-84-90

مجريط 41
مراكش 90-35
مرسية 93-49-27-26-25-18
مكناسة 34
منورقة 47

و

وادراس 61
وادي آش 94-76-64-63
وادي بردة 72
وادي سبو 33
وادي شنيل 75
الوادي الكبير 26
وادي ملوية 90
وادي نكور 32
وجدة 35

فهرس الأعلام

أ

إبراهيم بن أحمد بن الحاج النميري 69-68
إبراهيم بن علي (أبو سالم) 94
إبراهيم بن يوسف بن عبد الحق 86
أبو بكر بن عبد الحق 34
أبو بكر بن غازي 89-76
أبو زيان بن يعقوب بن عبد الحق 89-39-38
أبو زيد (السيد) 47-18

أبو القاسم بن العزفي 38-37
أبو مالك بن علي 93
ابن أبي خالد 23
أحمد بن إبراهيم (أبو العباس) 89
إدريس بن عبد الحق 36-33
إدريس بن عثمان 110-95-93-84-76
إسماعيل بن عثمان 94-92
إسماعيل بن فرج 110-74-65
ألفونسو 73
ألفونسو التاسع 19
ألفونسو الثامن 14
ألفونسو الحادي عشر 94-75-74
ألفونسو السادس 25
ألفونسو العاشر 41-37

ب

بيدرو(دون) 75-73

ت

تاشفين بن معطي 55

ح

الحسن بن علي الكردي(الكمال) 19

خ

خايمي الأول 48-47-46-37-25-18
خايمي الثاني 93-73
خوان(دون) 75-74

ر
رحو بن عبد الله بن عبد الحق 37-59
ز
زكريا بن أحمد (أبو يحيى الحفصي) 84
زيان بن مدافع بن مردنيش (أبو جميل) 18-29-47-48
س
سانشو 41-42
سعد بن عبادة 20
السعيد (الموحدي) 34
السعيد بن عبد الله(المريني) 75
سلطان بن عثمان 84
سليمان بن عبد الله (أبو الربيع) 87
سليمان بن عثمان بن أبي العلاء 89
سنتياغو(القديس) 97
ع
عامر بن إدريس 36-38-101
عامر بن عبد الله أبو ثابت 87
عامر بن عثمان بن إدريس 73-81-83-84-95
العادل 17
العباس بن رحو 73
عبد الحق بن رحو 55
عبد الحق بن محيو 32-33-35
عبد الرحمن بن أبي يفلوسن 58-73-75-89-92-93
عبد الرحمن بن علي بن عمر بن أبي السعيد 89
عبد العزيز بن منصور(أبو فارس) 75

عبد الله بن ذنون 23
عبد الله بن علي بن أشقيلولة 22-39
عبد الله بن محمد البياسي 17
عبد الملك بن سوار 64
عبد المنعم بن علي بن سدراي 30
عبد الواحد أبو محمد 17
عتبة بن يحيى 23
عثمان بن أبي العلاء 63-64-73-74-76-86-87-88-89-91-92
110-
عثمان بن يحيى 93-95
ابن عذارى المراكشي 23
علي بن بدر الدين 59-64-76-84-95
علي بن عثمان(أبو الحسن المريني) 65-72-81-82-83-84-88-93-95
علي بن عياد 55-72
علي بن محمد بن الصباغ 60
علي بن يوسف بن كماشة 87
عمر بن أبي يحيى 35
عمر بن رحو بن عبد الله 87
عمر بن عبد الله 95
عمر بن علي 41
غ
غوردن جورج 99
غوزمان الطيب 93
ف
فارس بن علي(أبو عنان) 81-95-112

فرج بن إسماعيل (أبو سعيد) 86-85-64
فرج بن محمد 96
فرناندو الثالث 50-49-46-26-24-19
فرناندو الرابع 73

م

ابن ماساي 89
المأمون (الموحدي) 18-17
محمد بن أبي حفص(أبو زيد) 18
محمد بن أبي عامر 53
محمد بن أحمد بن محروق 90
محمد بن إسماعيل 92-91-88-83-82-81
محمد الأيسر 77
محمد بن خلف بن القاسم 29
محمد بن عبد الحق (أبو معرف) 33
محمد بن عبد الله بن الأبار 48-29
محمد بن عبد الله بن الخطيب 94-92-89-82-76-60-59-58
محمد بن عبد الله بن الرميمي 23-20-18
محمد بن عثمان (الأعرج) 77
محمد بن عروس 24
محمد بن محمد (الفقيه) 85-80-57-56-55-41-40-39-37
محمد بن محمد (المخلوع) 93-92-85-82
محمد بن يوسف بن الأحمر 50-26-25-24-23-22-21-20
محمد بن يوسف بن إسماعيل (الغني) 94-92-90-89-87-77-76-73-65-64-59
محمد بن يوسف بن هود 48-47-23-22-20-19-18-15
المرتضى 64

أبو مروان الباجي 22
المعتمد بن عباد 43
منديل بن يعقوب 85
منصور بن عثمان 84
موسى بن رحو 85-55-54
ميغيل لوكاس دي أرناتو 95
ن
نصر بن محمد (أبو الجيوش) 92
نونيو دي لارا 40
هـ
هنريكي الرابع (الملك) 96
ي
يحيى بن أحمد بن هذيل 66
يحيى بن رحو 113-94-92-91-81-60
يحيى بن عبد الواحد (أبو زكريا الحفصي) 29
يعقوب بن عبد الحق(أبو يوسف) 35-36-38-39-40-41-42-43-44-45-
55-56-57-72-80-85
يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق 44
يغمراسن بن زيان 34
يوسف بن إسماعيل (أبو الحجاج) 60-63-72-81-83-84-94-107-110-112
يوسف بن تاشفين 43
يوسف بن محمد النصري 76-107
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق 42-82-86-87
يوسف بن يعقوب الوطاسي 87

قائمة المدن الأندلسية وما يقابلها باللغة الإسبانية

أبذة	Ubeda
أرجونة	Arjona
الأرك	Alarcos
أشبيلية	Sevilla
أستجة	Ecija
أصطبونة	Estepona
المرية	Almeria
أندرش	Andarax
أندة	Onda
برشلونة	Barcelona
بلنسية	Valencia
بطليوس	Badajoz
بياسة	Baeza
تاكرنا	Tacarona
جبل الفتح	Gibraltar
الجزيرة الخضراء	Algecira
جيان	Jaen
جزيرة شقر	Alcira
حصن أشكر	Huescar
حصن أندرش	Andarax
حصن العقاب	Las Navas de Tolosa

Denia	دانية
Dekvin	ذكوان
Ronda	رندة
Sagrajas	الزلاقة
Zaragoza	سرقسطة
Jativa	شاطبة
Jerez	شريش
Tortosa	طرطوشة
Tarifa	طريف
Genil	شنيل
Granada	غرناطة
Cordova	قرطبة
Comares	قمارش
Alicante	لقنت
Lorca	لورقة
Merida	ماردة
Malaga	مالقة
Madrid	مجريط
Murcia	مرسية
Minorca	منورقة
Guadix	وادي آش
Genil	وادي شنيل

الوادي الكبير	Guadalquivir

ملخص مذكرة ماجستير

خطة مشيخة الغزاة وأثرها على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين

670هـ - 783هـ / 1271م – 1381م

خطة مشيخة الغزاة وأثرها على العلاقات بين بنـي الأحمر وبنـي مرين دراسة تاريخية وعسكرية هدفها إلقاء الضوء والتعريف بخطة أندلسية وبيان قيمتها ودورها فـي التاريخ الأندلسـي، حيث كان للخطة أثرها الجلي في دعم جيش بني الأحمر فـي عملية تصديه للقوى الإسبانية الراغبة فـي القضاء علـى ما تبقـى من وجود المسلمين بالجزيرة ، وكذلك يبرز بصمتها فـي تحديد العلاقات بين بنـي الأحمر وبني مرين ، لذا يمكن لنا أن نطرح الإشكال الآتي: ما هي الظروف التـي أدت إلـى نشأة هذه الخطة وبهيكلتها وخصائصها هذه، وكيف أثرت على العلاقات بين بنـي الأحمر باعتبارها خطة تنتمي لدولتهم وبنـي مرين باعتبار أمراء وأغلب عناصرها منهم خاصة وأن الفترة عرفت نشاطاً متزايداً بيـن القوى الإسلامية والنصرانية للسيطرة على أكبر قدر ممكن من المساحات و المواقع الهامة في الغرب الإسلامي.

لقد عاشت الأندلس مـا بعد الموحدين مرحلة حرجة طبعت بكثرة الثورات وتباين أهدافها، تمخضت عنها بروز دولة بنـي الأحمر ذات المساحة الصغيرة والموارد القليلة والتناقضات الكبيرة والتـي كانت تتعرض باستمرار لهجمـات الممالك النصرانية، هـذا ما جعلها تلجأ لمساعدة خارجية تمثلت فـي دولة بنـي مرين بالمغرب، هـذه المساعدة تمثلت فـي قوة صغيرة مستقرة فـي الأندلس، قيادتها مرينية تعتمد في عناصرها على الفرسان القادمين من بلاد المغرب وعلـى الانتشار فـي أهم المدن والثغور الأندلسية معتمدة في عملها على أسلحة خاصة وأساليب قتالية اشتهرت بها محققة بذلك إنجازات كبيرة ساهمت من خلالها فـي إنقاذ عدة مدن أندلسية من السقوط في أيدي الممالك الإسبانية وهو ما أثبت نجاعة الخطة في القيام بمهامها.

أن مشيخة الغزاة بحكم اشتراكها بين بني الأحمر وبني مرين قد أدى إلى وجود تأثير لها علـى العلاقاتبين الدولتين، فهـي تارة أداة دعم لهـذه العلاقات وتارة أخرى عامـلاً للتوتر والاختلاف ووصل الحـد بها إلـى التدخل فـي شؤون الدولتين معاً، كمـا أثرت الخطة علـى مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية داخل الأندلس وحتى لدى الممالك الإسبانية.

لذا ما نخلص إليه أن خطة مشيخة الغزاة كانت معلماً بارزاً ومؤثراً فـي أندلس بني الأحمر أكثر منها حدثاً طارئاً عليها.

L'office de machiakha de ghozat et son impact sur les relations Entre banu el Ahmar et les marinides (670 -783 de l'hégire /1271-1381de j.c)

Note de synthèse masters

L'office de machiakha de ghozat et son impact sur les relations Entre banu el Ahmar et les marinides est une étude historique et militaire qui vise à mettre en valeur et faire connaître cet office andalous, et son rôle dans l'histoire d'Andalousie, car cet office avait un rôle principale dans le soutien de l'armé nasride lors des opération de défense contre les forces ibérique, qui voulaient éradiquer tous ce qui reste de la présence musulmane dans la péninsule , ainsi que de montrer son rôle dans la détermination des relation entre les nasrides et les mérinides .

Cela nous conduit à poser cette question : quelle sont les circonstances qui ont conduit a l'émergence de cette office avec une structure pareille ? , quelles sont les caractéristiques de ce dernier ? Et comment –a-t- elle influencée les relation entre les nasrides en tant que détendeur de cette office et les mérinides en tant que chefs à majorité de leur , surtout que cette période a connu une augmentation d'activité entre les forces musulmanes et chrétiennes dans le but de conquérir le plus large possible les domaines et les sites importants de l'occident islamique.

L'Andalousie a vécu une après les Moahides une phase critique caractérisées par de nombreuses révoltes à divers objectifs, en raison de l'émergence de l'état de benu el Ahmar avec petite superficie , peu de ressources et de grande contradiction ; lequel état elle était la cible des attaques royaumes chrétiens. Ce qui la poussé a recourir à une aide extérieure à savoir celle des mérinides Maghreb. Cette aide est une petite force stable en Andalousie, ses chefs son des princes mérinides ces éléments son des cavalier maghrébins, elle déployée au niveau des importantes villes et les frontière, utilisent des armes spéciales et des tactique militaires qui lui sont caractéristique réalisent des victoires importantes qui ont contribuées à la sauvegarde de nombreuse villes d'Andalousie des mains des royaumes d'Espagne. Et c'est ce qui a d'ailleurs, prouvé l'efficacité de cette office pour avoir pu s'acquitter de ses tâches.

Que l'office de machiakha de ghozat en vertu de ce point commun avec mérinides et nasrides a influencée les relations entre les deux états, elle est parfois un outil de soutien pour cette relation alors que dans d'autre fois elles été un facteur de tentions et de divergences au point ou elle s'ingérait dans les affaire des deux états.

De même cet office a affecté les différents aspects sociaux et culturels de l'Andalousie et même de royaumes d'Espagne.

De ce qui précède, nous concluons que l'office de machiakha de ghozat a été , à un moment donné de l'histoire, un repère important qui a marqué l'Andalousie de banu al ahmar plus qu'un cas d'urgence.

The office of the machiakha of ghozat and its impacts on the Banu el ahmar and the marinids relationships (670 -783 of the hegira /1271-1381a j.c)

Note synthesis masters

The office of the machiakha of ghozat and its impacts on the Banu el ahmar and the marinids relationships consist in a historical and army study that aims at enlightening and defining the Andalusian office by clarifying its important and crucial role in the Andalusian history.

Consequently, this office had a basic and direct impact in the reinforcement of Banu el ahmar troops while facing the Spanish forces that wanted and aimed at the destroyment of what remained of the Islamic existence on the peninsula

More over, such a study has as purpose to precise the effects of this office in defining and schematizing the relationships between Banu el ahmar and the marinids. Hence, we aim at illustrate all the questionings that might enlighten our approach: first of all, which conditions or circumstances led to the creation of such an office? How was it set and planned? How did it affect both of the two setters, as Banu el ahmar were the office, and marinids seen that most of the elements of the troops were of their state.

Which factors led to such an office seen the increase of both of the Islamic and Christian efforts to have a supremacy and dominance. Over the largest and the most strategist point on the Islamic occident.

The Andalusian period saw a critical and significant, period after the almohads due to the succession of wars and their varied and numerous aims, which led to the creation emergency of Banu el ahmar within a limited area and restricted materials and large contradictions.

Banu el ahmar state was threatened by the Christian offensives, thus, it shortly asked for an exterior helps, brought by the marinids from the Maghreb. These help consist of small army set in Andalusia, governed by marinids prince who were great wresters, they spread all over Andalusian strategically cites, using special weapons and military tactics method that made their fame; that is why, many Andalusian towns were protected from the Spanish troops; that reinforced security self confidence and great faith in the efficacy of this office.

Met, the machiakha of ghozat office affected the Nasrids and the marinids relationships differently.

It had a positive impact, by bringing, setting strength and stability, as well as, a negative effect that led to quarrelers and disturb which made that both of two stats were guided by the machiakha in their internal affairs.

In addition, it had great and deep impact on the social and cultural sides inside Andalusia itself, even upon the Spanish.

In conclusion, the machiakha of ghozat office was an essential and effecting element on the Nasrid Andalusia than just a sadden resulting consequence.